doi.org/10.52866/esj.2020.02.16.02

كشف الحقائق وشرح الدقائق
تأليف الإمام برهان الدين محمد بن محمد النسفي (ت687هـ)
دراسة وتحقيق من الآية : (110 – 116 سورة آل عمران)

أ.م محمد كريم الجميلي ، محمد هادي المشهداني
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ

المستخلص ..

عـاش الإمـام برهـان الديـن النَّسـفيُّ عصريـن مختلفـين، فـالأول في بلـدة نسـف ببـلاد مـا وراء النهـر والثـاني ببغـداد، وقـد واجـه في كلا العصريـن حيـاة مليئـة بالحـروب والنِّزاعـات السِّياسـيَّة والدِّينيَّـة انعـدم فيهـا الأمـن والاسـتقرار فضـلاً عـن تدهـور الحيـاة الاقتصاديَّـة لا سـيما في عـصر المغـول، إلَّا أنَّ ذلـك لم يؤثِّـر عـلى دور المـدارس تأثـيرًا كبـيرًا، بـل ظلَّـت تـؤدي دورهـا في التَّعليـم، حيـث كان النسـفي أحـد مشـايخ بغـداد في الإبـداع والتأليـف ويظهـر ذلـك مـن خـلال كتابـه (كشـف الحقائـق) .

الكلمات المفتاحية : الحقائق ، الدقائق ، النسفي .

Uncover the facts and explain the minutes Written by Imam Burhanuddin Muhammad ibn Muhammad al-Nasafi (687 AH) Study and investigation from the verse: (110 - 116 Surah Al-Imran)

Muhammad Karim al-Jumaili , Muhammad Hadi al-Mashhadani
Iraqi University / College of Education - Department of History

Abstract :

Al-Imam Burhan Al-Din Al-Nasfi has lived two different eras; the first one was at Nasaf town in a country beyond the river, the second one was at Baghdad. He faced in both eras a life full of wars and political and religious disputes where no security nor stability as well as a deterioration of economic life especially in the Mongol era. But this did not significantly affect the role of schools. They continued to play its role in teaching in which Al-Nasfi was one of Baghdad's Sheikhs in creation and authorship. This is shown in his book (Kash Al-Haqaeq).

Key words: Facts, Minutes, AL-Nasafi .

المقدمة

شهدت الحركة العلمية في بغداد ابان حكم الدولة العباسية تطورا بالغاً في العلوم والفنون مع وجود علماء كبار وأفذاذ جعلوا من بغداد قمة في الحضارة الإنسانية لا تدانيها حضارة أخرى بسبب ما زخرت به من علوم ومعارف رفدت الإنسانية بكل أنوع الرقي والآداب حتى بلغت بغداد العالمية في وقتها.

وقد استمر ذلك العطاء طيلة قرون ولم يفتر إلاّ في عصر المغول الذي زحف إليها وخرّب معالمها وأحرق قراها وقصباتها، وقتل علمائها وسكانها أبشع قتلة وذلك في نهاية خلافتها، ولكن رغم تلك المحنة التي لم تشهد معها الأمة مصيبة أكبر منها، فقد انبرى ثلّة من العلماء شهدوا تلك الحقبة المريرة ونفضوا عن أنفسهم غبار الخراب والدمار وأعادوا للأمة صرحها العلمي والإنساني من خلال قيامهم باستعادة زمام المبادرة وبث الروح في المدارس ومراكز التعليم في بغداد وإعادة تنظيمها وترتيبها وممارسة دورها في تعليم وتثقيف المجتمع الإسلامي ليس في بغداد فحسب وإنما في أرجاء العالم الإسلامي قاطبة باعتبارها عاصمة الخلافة الإسلامية والمصدر الروحي الأول للمسلمين في العالم بكل ما تمثلها تلك الرمزية التي خلّدت ذكر بغداد لمدة خمسة قرون وما زالت.

وكان من بين هؤلاء العلماء الذين شهدوا المحنة الإمام برهان الدين محمد بن محمد النسفي الذي رحل من بلده نسف في بلاد ما وراء النهر حتى وصل الى بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد فوجد فيها محط آماله ومبلغ مُناه فاختلط بعلمائها ودرس علومها ودرّس في مدارسها وصنّف الرائع والمفيد فيها، وما كتابه (كشف الحقائق) إلاّ ثمرة من تلك الثمار التي نفع بها أهل بغداد والأمة لتعود الى مكانتها التي لم تسلبها منها معاول وسيوف المغول، وعاودت رفد الأمة بأضعاف المجلدات والمؤلفات والمصنفات في شتى أنواع العلوم والمعارف.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى خمسة مباحث: جاء الأول منها بعنوان: «عصر النسفي» وتضمن دراسة الحالة السياسية والاجتماعية والحياة الفكرية والثقافية التي كانت سائدة في بغداد آنذاك. فيما كان المبحث الثاني بعنوان: «السيرة الشخصية لبرهان الدين النسفي» وتضمن دراسة إسمه وكنيته ولقبه وولادته وموطنه ونسبته ووفاته. وجاء المبحث الثالث بعنوان «ثقافته» وتضمن رحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره ومصنفاته. أما المبحث الرابع فكان بعنوان: «دراسة كتاب كشف الحقائق» وتضمن: إسم الكتاب ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ووصف النسخ الخطية ومنهج المؤلف في الكتاب ومنهجي في التحقيق. أما المبحث الخامس والأخير فكان بعنوان: (النص المحقق). وبسبب كثرة عدد أوراق المخطوط ومحدودية البحث فقد تم اختيار اللوحات الخطية من ورقة 306أ الى الورقة 313ب وهي الآيات (110 – 116) من سورة آل عمران في التحقيق، ثم سردت قائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها فيه، ومن الله التوفيق والسداد.

المبحث الأوَّل
عصر برهان الدِّين النَّسفيِّ

المطلب الأوَّل: الحالة السِّياسيَّة.

عاشَ النَّسفيُّ عصرًا مُهمًّا ومليئًا بالأحداثِ والتَّقلُّباتِ السِّياسيَّةِ والعسكريَّةِ الكبيرةِ الَّتي عصفتْ بالأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، كان أعظمُها وأثقلُها هو الغزو المغوليِّ للبلادِ الإسلاميَّةِ وقضاءُهُ على الخلافةِ

العباسيَّةِ في بغدادِ سنة 656هـ[1].

وبما أنَّ الإمامَ برهانَ الدِّينِ النَّسفيِّ قد نشأَ وترعرعَ في بلدتهِ (نسف) فإنَّهُ يقيناً قد شهدَ حُقبةَ التَّوتراتِ السِّياسيَّةِ الَّتي كانت تُهدِّدُ كُلَّ أقاليمَ بلدانِ ما وراء النَّهرِ بسببِ العلاقةِ المتوتِّرةِ بينَ الخلافةِ العباسيَّةِ والدَّولةِ الخوارزميَّةِ الَّتي كانت مِن الدُّولِ المهمَّةِ والكبيرةِ في المنطقةِ الَّتي أثَّرتْ الأحداثُ فيها على كُلِّ المدنِ والقصباتِ المحيطةِ بها بما فيها مدينة نسف ، فكانت هي البوابةُ لدخولِ المغولِ الى بلادِ الإسلامِ بعدَ حادثةِ أترارِ الشَّهيرة[2].

وكانت أُولى نُذُر الحربِ بعدَ أن أرسلَ جنكيزخان جيشًا أوليًا ليأخذَ بثأرِ أتباعهِ فأقبلَ الخوارزميُّون عليه فاقتتلوا أربعةَ أيَّامٍ قتالًا لم يُسمعْ بمثلهِ، وقُتلَ مِن الطَّرفينِ خلقٌ كثيرٌ حتَّى إنَّ الخيلَ كانت تنزلقُ بالدِّماءِ[3].

وكان المغول قد وطَّنوا المغولُ أنفسهَمُ على القيامِ بحروبٍ متواصلةٍ مِن أجلِ تحقيقِ السَّيطرةِ على العالمِ، ولَّما كانَ الخوارزميُّونَ يستمدُّونَ شرعيَّةَ حُكمِهم مِن الخلافةِ العباسيَّةِ في بغدادَ؛ أصبحَ لزامًا على المغولِ اجتياحَهُم أوَّلًا لأنَّهم يمثِّلونَ خطَّ المواجهةِ الأوَّلِ أمامَ توسعِهم للوصولِ الى مَقرِّ الخلافةِ وإسقاطها الذي كانَ هو الهدفُ الرئيسِ للمغولِ في اجتياحِ مناطقِ الخلافةِ الشَّرقيةِ وصولًا الى بغدادَ واجتياحِ أقاليمِها الغربيَّةِ أيضًا، فجمعَ جنكيزخان جيشَهُ الكبيرَ وعَبرَ نهرَ سَيحُونَ وسارَ حتَّى أَتى على بُخارى وحاصرها ثلاثةَ أيَّامٍ ثمَّ قاتل أهلها قتالًا شديدًا وصفَهُ المؤرِّخونَ بأنَّ الخيلَ انزلقت بالدِّماءِ مِن كثرتِها، فضعفتْ معنوياتُ الجيشِ الخوارزميِّ ففارقوا البلدَ منهزمينَ الى خراسانِ[4].

ثُمَّ توجَّهَ الى سمرقند حاضرةَ بلادِ ما وراء النَّهرِ وأكثرُها أَهميَّة وفيها الكثيرُ مِن العلماءِ والأدباءِ والفقهاءِ معَ ثروتِها الطَّبيعيَّةِ الهائلةِ، فقاتلوا أهلَها قتالًا شديدًا وقتلوا مِن أهلِ سمرقند سبعينَ ألفًا واستسلمت المدينةُ في نفسِ اليومِ بشهرِ مُحرَّم مِن سنة 617هـ[5].

ثُمَّ توجَّهوا الى قزوينَ وفعلوا بها ما فعلوه بباقي المُدنِ وقتلوا الكثيرَ، ثُمَّ ساروا الى بلادِ الرُّوسِ وجرى قتالًا انتصرَ فيه المغولُ، ثُمَّ قصدوا أذربيجان الَّذينَ عرفوا أَنَّهم لا طاقة لهم بقتالِ المغولِ فصالحوهم على أموالٍ يدفعوها لهم. وبعدها اقتحموا الكرجَ فخرَّبوا ونهبوا البلادَ وقتلوا أهلَها ووصلوا الى قريةِ تفليس وهمذان حتَّى وصلوا بلادَ الخطا وهكذا باقي المدن التَّابعة لدولةِ الخلافةِ العباسيَّةِ[6].

أما موقف الخلافة في بغداد فقد كان ضعيفاً بسبب ضعف جيشها وعدم وجود سياسة دفاعية لها، فمنذ عام 618هـ وحتى عام 628هـ لم تستطع أن توقف زحف المغول الذي أرسل حملات قتالية قُدّرت بثلاثة عشر حملة هددوا بغداد خلالها مرتين ووصلت طلائعهم الى أطرافها[7].

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام 48/ 28؛ والبداية والنهاية لابن كثير: 13/ 233.

(2) وتتلخص هذه الحادثة بأن جنكيزخان أرسل جماعة من التجار لشراء الثياب والنفائس من سمرقند فاعترضهم حاكم مدينة أترار وأخذ أموالهم. فأرسل جنكيزخان رسل الى خوارزم شاه رئيس الدولة الخوارزمية يطلب منه تسليم حاكم أترار لمحاكمته في بلاده فلم يفعل وقتل رسل جنكيزخان، فثارت ثائرته وتوعده بغزو بلاده وتدميرها.
ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص87.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 82.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص469.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، 8/ 609 .

(6) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص433 .

(7) محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد

ثم عمل هولاكو على إرسال رسله إلى الخلافة ليعلم موقفها منه. ولما لم يصل الى نتيجة معه حاصر بغداد بجيشه الكبير ثم استسلمت بعد أسبوع وتم اقتحامها واستباحتها لمدة أربعين يوما قتل خلالها أكثر من مليون شخص وعلى رأسهم خليفة المسلمين المستعصم بالله[1].

ولمْ تكنْ باقي مُدنِ العراقِ بمنأى عن خطرِ المغولِ بلْ تأثَّرَ السُّكانُ في مُعظمِ أَنحاءِ العراقِ، فبعدَ أن أَنهى جُنودُ المغولِ سيطرَتَهم على بغدادَ اتَّجهوا الى الحِلَّةِ والكوفةِ وواسطِ والبصرةِ مِمَّا أَثاروا الرُّعبَ والفزعَ في نفوسِ الأهالي بسببِ قِلَّةِ الإمكاناتِ العسكريةِ لمواجهتِهم فاضطرُّوا النُّزوحَ إلى البطائحِ بأَمتعتِهم البسيطة[2].

وكانَ استهتار المغول بنفوس أهل بغداد كبيراً وبالغاً حدّ الفضاعة، فلم ينج منهم إلاّ من اختفى في بئر أو قناة أو من التجأ إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى وإلى دار الوزير إبن العلقمي ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني، وذلك لأن هؤلاء كانوا خرجوا إلى المغول وتعاونوا معهم فلذلك لم يتعرض لهم[3]. وقد أسهبت المصادر التاريخية بذكر تفاصيل وبشاعة المجازر التي ارتكبوها والتي لا مجال لذكرها هنا.

المطلب الثَّاني: الحالة الاجتماعيَّة.

أمَّا طبيعة الحياة الاجتماعيَّة الَّتي كانت سائدة في بغداد والَّتي عاش فيها النَّسفيُّ شطرًا مِن حياته بعد رحيله عن بلدته (نسف) فكانت قرابة (12 عامًا) وكما ذكرها المؤرِّخون بتفاصيل نوجزها لطول الحديث فيها. فبعد أن بَدَتْ على الخلافة العباسيَّة مظاهر الوهن والضَّعف بسبب سيطرة العناصر الأجنبيَّة على مواقع مُهمَّة في الدَّولة كالفرس والأتراك فاستأثروا بالنُّفوذ وطغوا على سلطات الخلفاء في عصورها الوسيطة والأخيرة وحتَّى دخول المغول إليها سنة 656هـ. فكانت حالة المجتمع العراقيِّ مُزرية شهدت فيها البلاد ما لم تشهده غيرها مِن البلدان بسبب المجازر والفظائع الَّتي ارتكبها الجند المغول، فضلًا عن السَّلب والنَّهب الَّتي مارسوها ضدَّ أهل بغداد وتركهم الأثر النَّفسيِّ والمعنويِّ في نفوس النَّاس بسبب ذلك[4].

وكانت هناك تحديات طبيعيَّة أخرى خارج عن إرادة الإنسان أثَّرت في الجانب الإقتصاديِّ والاجتماعيِّ تأثيراً كبيراً وعكست آثارها السَّلبيَّة على الوضع السِّياسيِّ والعامِّ للدَّولة حيث كثرت الكوارث الطَّبيعيَّة بآثارها الفادحة على المجتمع بصورة عامَّة[5]. فكانت الفيضانات المدمرة تتكرَّر بين الحين والآخر وكان أخطرها فيضان سنة 653هـ عندما فاض نهر دجلة والفرات معًا فتسبَّب بخراب نصف أراضي السَّواد مما انعكس بصورة سلبيَّة على السُّكان مِن جميع النَّواحي. وكانت هذه الكوارث تتكرَّر وذلك لأنَّ إجراءات الدَّولة كانت وقتيَّة وعاجزة عن معالجة الأمور معالجة جذرية عن حلِّها، فضلًا عن انقطاع الأمطار في بعض السِّنين وظهور الآفات الزِّراعية والحشرات كالجراد وغيره مِمَّا دفع الفلَّاحين إلى الهجرة مِن أطراف بغداد والمدن المجاورة إلى داخل العاصمة والَّتي تسبَّبت في أضرار في الحياة الاقتصاديَّة مِن قلَّة الإنتاج الزِّراعيِّ وازدياد

السيطرة المغولية، ص94.
(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 202؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص421.
(2) تاريخ مختصر الدول، مصدر سابق، ص81.
(3) الهمذاني، جامع التواريخ ، 2/ 287؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص236.
(4) فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص155.
(5) عجمي خطاب، المقاومة العربية للغزو المغولي،ص67.

الطَّلب على المواد الغذائيَّة وغلاء الأَسعار وانتشار الأَمراض[1].

وبسبب تأثُّر مهنة الزِّراعة بتلك الكوارث وانتشار الفقر فضلًا عن ضعف التِّجارة الَّتي كانت تعمل بها شريحة معيَّنة مِن المجتمع فقد ضعفت الحالة الماديَّة عند النَّاس بصورة عامَّة مِمَّا أدَّى إلى انتشار اللُّصوصيَّة وظهور جماعة في بغداد تُسمَّى بالعيارين وكانوا يأخذون كُلَّ ما يجدونه في بيوت النَّاس على وجه القهر والإكراه وأجرموا وفتكوا بالمجتمع البغداديِّ، بل حتَّى بيوت الأمراء لم تسلم مِن أذاهم وشرورهم، ولا شكَّ فإنَّ ظهور هذه الفئة مِن العناصر الدِّخيلة على المجتمع البغداديِّ كان بسبب ضعف السُّلطة المركزيَّة للدَّولة[2].

وفي وسط هذه الظُّروف والاضطرابات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة فقد برزت اتِّجاهات فكريَّة ساعدت في إضعاف تحمُّس النَّاس بالمخاطر المحدقة بهم ومِن أهمِّ ذلك التَّصوف والزُّهد والابتعاد عن المشاركة الفاعلة في الحياة العامَّة[3]. هذه هي مجمل ومختصر الأحوال الاجتماعيَّة في بغداد الَّتي عاش فيها الإمام النَّسفيُّ ما يربو على الخمسة عشر عامًا، وكذلك حالة بعض المدن المُهمَّة بالعراق.

الحياة الفكرية

ذكرنا أثناء دراستنا للحياة السياسية أنّ المؤلف عاش عصرين: أحدهما في بلاد ما وراء النهر بمدينة نسف التي ولد ونشأ فيها، ثم رحل طلباً للعلم حتى وصل بغداد وأكمل مسيرته العلمية وأخذ عن مشايخها الشيء الكثير في مختلف العلوم والفنون. وعلى ذلك فإن النسفي قضى شطراً من حياته في عاصمة الخلافة العباسية، ولأجل ذلك سنتناول جانباً من الحياة الفكرية والثقافية من اتجاهين وهما ما قبل الحقبة المغولية وما بعدها.

فعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخية لم تسعفنا في معرفة تفاصيل حياته آنذاك إلاّ اننا سنتناول الحياة العلمية والفكرية بصورة عامة والتي يقيناً كان النسفي قد عاصرها باعتباره أحد مَنْ سكن بغداد واستوطنها ومات فيها. فقد كانت بغداد قبل الغزو المغولي قد تحررت من السيطرة السلجوقية سنة 590هـ على يد الخليفة الناصر لدين الله العباسي الذي قضى على وجودهم نهائياً فتنفّست الخلافة الصعداء وانتعشت الحياة العلمية فيها من جميع النواحي، حيث انتهج الخلفاء العباسيون سياسة أسلافهم في دعم وتشجيع الحركة الفكرية على اعتبار أنّ بغداد هي عاصمة الخلافة وحاضرة العالم الإسلامي يَفِد إليها كلّ راغب في العلم بكلّ فروعه وأصنافه.

وبسبب ذلك الدعم والتشجيع فقد أنشأت الكثير من المدارس العلمية والرُبَط والخانقاهات وانتشرت في معظم أحياء بغداد وأجريت على مُدرّسيها وطلابها الجرايات بغض النظر عن مِلَلهم وعقائدهم، حتى قال عنها الرحالة المعروف ابن جبير عندما زارها سنة 580هـ وحضر دروس بعض مشايخها وأحصى عددها فقال: (والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية)[4]. أما في عهد المغول وعند الاحتلال فكانت زهاء الثمانية والثلاثين مدرسة[5].

(1) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص288.
(2) ابن الفوطي، المصدر نفسه، ص293.
(3) عجمي خطاب، مرجع سابق، ص67.
(4) رحلة ابن جبير ، ص205؛ حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، 2/ 59.
(5) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص2.

وقد برز في هذه الحقبة الكثير من العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين الذين أثروا العالم الإسلامي بكل صنوف العلم والمعرفة[1]. ومن هؤلاء مؤرخ العراق المشهور كمال الدين عبد الرزاق الشيباني المعروف بإبن الفوطي (ت739هـ)[2].

والنحوي علي بن معالي المعروف بابن الباقلاني (ت637هـ)[3]، وبرز كذلك المحدث والأصولي الوزير ضياء الدين ابن الاثير الجزري (ت637هـ)[4] والذي تعاصرَ مع أخيه المؤرخ الكبير عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)[5] بنفس الحقبة الزمنية. وبرز كذلك الزاهد والصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي (ت632هـ)[6] الذي برع في مجالس الوعظ وعلم التصوف. وكذلك تاج الدين علي بن أنجب (ت674هـ)[7] . ونظراً لكثرة المدارس فيها فسنتناول باختصار أبرزها وأكثرها تأثيراً في الحياة العلمية وهما المدرسة النظامية والمستنصرية، فضلاً عن المكتبات التي نشأت فيها.

1 – **المدرسة النظامية:** وهي المدرسة التي أسسها الوزير نظام الملك السلجوقي في بغداد سنة 457هـ في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله وتقع على نهر دجلة في الجانب الشرقي من بغداد بالرصافة[8]، وجهّزها بكل ما يحتاجه روادها من خدمات كغرف الدراسة والحمامات وأماكن نوم الأساتذة والطلاب والمطبخ. وقد ألحق بها مبنى خاص بالمكتبة عُرِف باسم دار الكتب وزوّدها بكل ما هو غريب ونادر، وضمّ إليها عشرة آلاف مُجلّد في مختلف التخصصات كالفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام واللغة والأدب والتاريخ وغيرها. وعيّن أميناً عاماً لها

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص88.

(2) هو كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني العالم البارع المتفنن المحدث مؤرخ الآفاق وفخر أهل العراق، ومهر في التاريخ والشعر وايام الناس وله ذكاء مفرط وكتب في التواريخ ما لا يوصف ومصنفاته وقر بعير، توفي سنة (723هـ).
الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1493.

(3) هو علي بن معالي الحلي النحوي المعروف بابن الباقلاني، وقيل الحسن بن ابي المعالي، كان شيخ وقته في النحو والأدب، نزل بغداد واستوطنها وقرأ علم الكلام وسمع الحديث،. توفي سنة (637هـ).
ياقوت الحموي، معجم الادباء ، 9/ 198.

(4) هو أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير الجزري الاصل الموصلي الدار وكان كاتباً عالماً فاضلاً مُقتدراً، ورد الى بغداد مراراً يحمل رسائل الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومنها في هذه السنة فمرض ببغداد ومات فيها ودفن في صحن مشهد موسى بن جعفر سنة (637هـ).
ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص115.

(5) هو الإمام والمؤرخ المشهور عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ هو بها وأخواه العلامة مجد الدين والوزير ضياء الدين، ثم تحول أبوهم الى الموصل فسمعوا بها واشتغلوا وبرعوا وسادوا، وكان إماماً علّامة إخبارياً أديباً متفنناً، وله من التصانيف الكامل وأسد الغابة وغيره، مات سنة (630هـ).
الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 354.

(6) هو الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي الصوفي الواعظ الذي ولد بسهرورد وقدم الى بغداد واستوطنها، وهو إبن أخي الشيخ أبي النجيب السهروردي الذي صحبه وعنه أخذ على الوعظ والتصوف. ودرّس في مدرسة عمه أبي النجيب فضلاً عن رباط الزوزني ورباط المامونية، وقد بنى له الخليفة الناصر لدين الله العباسي رباطاً على نهر عيسى ببغداد وتوفي سنة (632هـ).
ابن الفوطي، المصدر السابق، ص72.

(7) هو الإمام والمؤرخ البارع خازن كتب المستنصرية وصاحب التصانيف المشهورة مثل مناقب الخلفاء وتاريخ الوزراء وتاريخ نساء الخلفاء وغيرها، توفي سنة (674هـ).

(8) ابن الجوزي، المنتظم، 8/ 238.

يتولى مسؤوليتها وكان أولهم الأديب والشاعر والفقيه أبو يوسف الأسفراييني (ت480هـ)[1] وبعد وفاته تسلّم المنصب الأديب والشاعر المشهور أبو المظفر الأبيوردي (ت507هـ)[2].

وقد ضمّ الوزير نظام الملك إليها أوقافاً حولها كالمخازن والدكاكين. وتمّ افتتاحها سنة 459هـ وكان يُدرّس فيها مختلف العلوم وجهّزها بكل ما تحتاجه من كادر تدريسي وإداري كالكَتَبة والخدم وعيّن فيها خيرة الأساتذة والمشايخ مثل شيخ الإسلام أبو إسحاق الشيرازي (ت476هـ)[3] الذي بُنيت المدرسة له، وشيخ الإسلام أبو حامد الغزالي (ت505هـ) وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت478هـ)[4]، وشيخ الإسلام إبن الجوزي (ت597هـ)[5]، وأبو نصر بن الصباغ (ت472هـ)[6] والكيا هراسي (ت504هـ)[7] وغيرهم الكثير.

وبعد أن يقضي الطالب مدة زمنية طويلة في التعليم بها تمنح له الإجازة العلمية ليكون أهلاً للتدريس أو الافتاء. وبسبب نجاح التجربة الأولى لفكرة المدرسة النظامية في بغداد فقد تم بناء مدارس نظامية أخرى في أقاليم الدولة العباسية كالموصل والبصرة وبلخ وهراة ونيسابور وآمل وأصفهان لتؤدي دورها في مسيرة العلم والتعليم .

2 – **المدرسة المستنصرية** : وهي من أبرز المدارس العباسية المشهورة والتي ما تزال آثارها قائمة في بغداد حتى يومنا هذا، وتُنسب إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله (623–640هـ) الذي كان مُهتماً بالعلوم الدينية والأدبية. فكان عصره حافلاً بالإنجازات العمرانية والعلمية والعسكرية، فقد

(1) هو يعقوب بن سليمان بن داود الأسفراييني نزيل بغداد وخازن المكتبة النظامية من العلماء باللغة والأشعار والأصول، صنف كتاب المستظهري، توفي سنة (480هـ).
ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية؛ الزركلي، الأعلام، 8/ 198.

(2) هو محمد بن أحمد الأموي أبو المظفر، أوحد عصره بمعرفة اللغة والأنساب، وله تصانيف كثيرة مثل تاريخ أبيورد ونسا وكتاب المختلف والمؤتلف وغيرها الكثير، توفي بأصبهان سنة (507هـ).
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 2/ 52؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، 52/ 295.

(3) هو جمال الدين ابراهيم بن علي الشيرازي، تفقه بشيراز وقدم بغداد وسمع من ابن شاذان واليرقاني، برع في الفقه وصار أنظر أهل زمانه، صنف كتاب المهذب واللمع في أصول الفقه وغيره، توفي سنة (476هـ).
الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 241.

(4) هو أبو المعالي بن أبي محمد الفقيه الشافعي الملقب بإمام الحرمين، من اهل نيسابور، إمام الفقهاء شرقاً وغرباً، من لم تر العيون مثله فضلاً، تفقه في صباه على والده وقرأ عليه جميع مصنفاته، فلما مات والده وله دون العشرين فأقعد مكانه في التدريس بلغ درجة الاجتهاد، وجال في بلاد خراسان وجاور بمكة للخطابة والتدريس ثم تولى التدريس بالنظامية، توفي سنة (487هـ).
ابن النجار البغدادي، ذيل تاريخ بغداد، 1/ 47.

(5) هو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي أبو الفرج الواعظ الحافظ العلامة القرشي البغدادي صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم وصنف المصنفات وله ثلاث عشرة سنة في علوم القرآن والفقه الحديث والتاريخ وغيرها، توفي ببغداد سنة (597هـ).
الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 81.

(6) هو أبو نصر بن الصباغ عبد السيد بن محمد البغدادي أحد الأئمة ومؤلف الشامل، كان نظير أبي إسحاق الشيرازي وثبتاً وحجة وأصولياً محققاً، ولي النظامية بعد الشيرازي وتوفي ببغداد سنة (472هـ).
ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 341.

(7) هو عماد الدين علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي من أهل طبرستان، تفقه على إمام الحرمين الجويني الى أن برع، خرج من نيسابور الى العراق وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد، توفي سنة (504هـ).
ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 286.

شرع ببناء مدرسته التي خلّد التاريخ ذكرها سنة 625هـ وأنفق عليها الأموال الطائلة والتي يعجز حصرها برقم وأوقف عليها أوقافاً عظيمة[1].

وقد تمّ افتتاح المدرسة سنة 631هـ كأول مدرسة مُتكاملة البناء ومُنتظمة المناهج والبرامج وفيها خيرة المشايخ والمدرّسين وتمتلك كل المستلزمات الضرورية التي يحتاجها طلاب العلم من الكتب والطعام والشراب والسكن الداخلي والعلاج الطبي. وتؤدي رسالة سامية وعظيمة للأمة عنوانها نشر العلوم والمعارف والارتقاء بالتعليم في كافة أرجاء دولة الخلافة العباسية حتى أصبحت بحق أول جامعة إسلامية بمواصفات عالمية[2].

وبسبب تلك المميزات والتسهيلات فقد وفدت على المدرسة عناصر مختلفة من بلدان العالم الإسلامي على اختلاف لغاتهم القومية، وكان عليهم أن يُتقنوا اللغة العربية، اللغة الرسمية للدولة كي يتمكنوا من فهم العلوم والآداب التي تُدَرّس في المدرسة مما أدى إلى انتشار اللغة العربية بين شعوب العالم الإسلامي[3]. والى جانب اللغة كان يُدرّس فيها مختلف العلوم والفنون كعلوم القران والحديث والتفسير والنحو والصرف والفرائض والحساب والمساحات والطب والحيوان وغيرها[4].

ومع نمو حركة التَّأليف والبحث والمناظرة ظهرت الموسوعات العلميَّة في شتَّى الفنون كالصِّحاح والمسانيد وموسوعات الفقه وموسوعات التَّفسير كتفسير فخر الدِّين الرَّازيِّ إلى جانب موسوعات التَّأريخ العامِّ والخاصِّ كتأريخ الإسلام للذَّهبيِّ وغير ذلك. وكان برهان الدِّين النَّسفيُّ أحد هؤلاء العلماء الَّذين نذروا وقتهم في التَّعليم في المدارس الَّتي أنشأها الخلفاء.

وبالمجل نستطيع أن نقول بأنّ هناك حركة تأليفيَّة رائعة في شتَّى العلوم والفنون على يد هؤلاء العلماء على اختلاف ألوان مذاهبهم قد أثْرَوا المكتبة الإسلاميَّة بالعديد مِن المؤلَّفات القيِّمة الَّتي عوضتها ما فقدته هذه المكتبة من التُّراث الفكريِّ الَّذي أُتلف في مياه دجلة، أو ذهب حرقًا على يد المغول.

المبحث الثَّاني
سيرته الشخصية

إسمه وكنيته ولقبه ومولده وموطنه ونسبته ووفاته

أولاً: إسمه وكنيته ولقبه.

هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو الفضل، برهان الدِّين، النَّسفيُّ، الحنفيُّ[5]. وبعض المصادر تذكر أن اسمه مُحَمَّد بن محمود[6]. أما كنيته فقد ذكر الَّذين ترجموا لبرهان الدِّين النَّسفيِّ أنَّه كان يُكنَّى: بـ(أبي الفضل)[7] و(أبي الفضائل)[8] و(أبي عبدالله)[9]. أما لقبه فقد كان يُلقَّب مُحَمَّد بن مُحَمَّد النَّسفيُّ بـ(برهان الدِّين)[10]، وقد اختصرتُهُ بعض المصادر إلى (البرهان

(1) الملك الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، 2/ 455.
(2) مجموعة باحثين، تاريخ المدرسة المستنصرية في بغداد، ص105.
(3) تاريخ المدرسة المستنصرية، المرجع نفسه، ص105.
(4) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص212.
(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، 15/ 600، والصفدي، الوافي بالوفيات، 1/ 216.
(6) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، 8/ 384.
(7) الذهبي، العبر في خبر من غبر، 5/ 346؛ واليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، 4/ 201.
(8) الذهبي، تاريخ الإسلام: 51/ 179؛ والجواهر المضية، 2/ 127.
(9) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، 2/ 209.
(10) الذهبي، تاريخ الإسلام، 15/ 600؛ و والجواهر

النَّسفيِّ)[1].

ثانياً: مولده.

ذكرت المصادرُ التاريخية أنَّ ولادةَ برهان الدِّين النَّسفيِّ كانت سنة ستمائة تقريبًا، وبعض تلاميذه كابن الفُوَطيّ يقول: إنَّ هذا التَّأريخ لمولده هو على وجه التَّقريب لا التَّحديد[2]، وكذا في الجواهر المضية، وهناك رواية لابن العماد الحنبلي يؤكد ولادته بسنة ستمائة[3]. أما كارل بروكلمان فيذكر مولده سنة ستمائة وست من الهجرة[4]، ويلحظ أنَّ هذا التَّأريخ الذي ذكره بروكلمان هو سنة وفاة فخر الدِّين الرَّازي صاحب كتاب التَّفسير الكبير.

ثالثاً: موطنه ونسبته

ولد برهان الدين بمدينة (نَسف)[5] ونُسِبَ إليها ونشأ وترعرع وتلَّقى العلم في بداية حياته فيها، ونذكر على سبيل الاختصار أهمَّيَّة موقع نسف عند الجغرافيِّين المسلمين، فهي المدينة الَّتي سمَّاها الجغرافيُّون والمؤرِّخون «نخشب». وقد اقترن اسمها دائمًا في أغلب المصادر الجغرافية مع (كش)، فيقال: (كش ونسف)، وقد اختلف البُلدانيُّون العرب في وضعها ونسبتها، فمنهم مَن ذكرها مِن مدن (الصغد)، ومنهم مَن جعلها مِن (كور خراسان) المعروفة، وعدَّها آخرون مِن مدن سمرقند أو مِن كور ما وراء النَّهر، فيما ذكرت أيضًا مِن النَّواحي التَّابعة لما وراء النَّهر[6].

أمَّا ياقوت الحمويِّ فذكر أنَّ (نخشب): هي مِن مدن ما وراء النَّهر بين جيحون وسمرقند وليست على طريق بخارى، فإنَّ القاصد مِن بخارى إلى سمرقند يجعل نخشب عن يساره[7]. ووصفها الإصطخري بأنَّها مدينة لها ربض وسور وأربعة أبواب ولها قرى ونواح، والغالب على قراها الخصب والسِّعة ونهرها ينقطع في بعض السَّنة فيسقون بساتينهم بالآبار حتَّى يعود الماء إلى النَّهر[8].

أمَّا ابن حوقل فقد وصف المدينة فقال: (هي مدينة على مدرج طريق بخارى إلى بلخ في مستواه والجبال منها على مرحلتين فيما يلي (كش) ولها نهر واحد يجري وسط المدينة وهي مجمع مياه كش ودار الإمارة على شط هذا النَّهر والمسجد الجامع بناحية باب غوبدين)[9]. وقال المقدسيُّ: (هي مدينة نفيسة ولها ربض الجامع فيه عند الأسواق وهي كثيرة الأعناب الجيدة والمزارع العذبة الطَّيبة الكبيرة)[10].

رابعاً: وفاته

أجمعت المصادر التاريخية وكل من ترجم للنسفي على تحديد مكان وفاته وموضع دفنه، وهو أنَّه توفي ببغداد ودفن بالخيزرانيَّة[11] قرب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى- ولكن اختلفوا في تحديد زمن وفاته على أقوال هي:

المضية، 2/ 127.

(1) الذهبي، المصدر نفسه، 51/ 179؛ والجواهر المضية، 3/ 351.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 1/ 216؛ وتاج التراجم في طبقات الحنفية: (246-247).

(3) شذرات الذهب، 8/ 384.

(4) تاريخ الأدب العربي، 1/ 615.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 82.

(6) قحطان عبد الستار الحديثي، التواريخ المحلية لإقليم خراسان، ص72.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 767.

(8) الاصطخري، المسالك والممالك، ص325.

(9) ابن حوقل، صورة الأرض، ص413.

(10) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 1/ 104.

(11) ينظر: الجواهر المضية، 3/ 351؛ وعقد الجمان، 1/ 204؛ وأعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، لوليد الأعظمي، ص84. والخيزرانية: هي مقبرة بجوار الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى- تقع في وسط بغداد.

1 – قيل سنة 684هـ . قال به: الحافظ الذَّهبيُّ كما في كتابه العبر[1] ونقل ذلك اليافعيُّ في مرآة الجنان[2] وابن العماد الحنبليُّ في شذرات الذَّهب[3]،

2 – قيل سنة 686هـ. وممن قال به حاجي خليفة[4]، أبو الحسنات اللّكنويّ[5]، وإسماعيل باشا[6].

3 – قيل سنة 687هـ. وبه قال الأكثرون[7].

4 – قيل سنة 788هـ. وممن ذكر هذا الرأي حاجي خليفة[8].

وبالجمع بين الأقوال والرُّوايات السَّابقة فإنَّ الذي يبدو راجحاً هو القول الثَّالث وهو سنة سبع وثمانين وستمائة وذلك لإنَّ تلميذه المؤرِّخ ابن الفُوَطيّ الذي حدد هذا التَّأريخ بدقة تدلُّ على معرفة واطلاع فقال: ومات في الثَّامن والعشرين من شهر ذي الحُجَّة سنة سبع وثمانين وستمائة[9]. وتلميذه أدرى النَّاس به بسبب ملازمته له دهرًا طويلًا فضلًا عن تحديد اليوم والشَّهر مشعر بتيقنه وقوة ضبطه ويزاد على ذلك أنَّهُ مؤرخ متضلع. والسبب الآخر هو إنَّ مصادر ترجمته تكاد تجمع على هذا القول فلم يشذ إلا القليل. فقد عمَّر -رحمه الله تعالى- نحو تسعين سنة كما ذكر ذلك الحافظ الذهبيُّ والمقريزيُّ[10].

(1) ينظر: العبر في خبر من غبر، 5/ 346.
(2) ينظر: مرآة الجنان،4/ 200–201.
(3) ينظر: شذرات الذهب، 5/ 585.
(4) ينظر: المصدر السابق.
(5) ينظر: الفوائد البهية، ص316.
(6) ينظر: هدية العارفين، 3/ 152–153.
(7) ينظر: طبقات المفسرين، للداودي، ص252؛ وتاريخ الإسلام، 51/ 179.
(8) ينظر: كشف الظنون، 1/ 81.
(9) ينظر: الوافي بالوفيات،11/ 305؛ وطبقات المفسرين، ص256؛ وتاج التراجم، 246–247.
(10) ينظر: تاريخ الإسلام، 51/ 179؛ والسلوك لمعرفة دول الملوك 2/ 209.

المبحث الثالث
ثقافته

رحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره ومصنفاته

أولاً: رحلاته العلميَّة

اعتاد علماء الإسلام على التَّنقل والتَّرحال مِن بلدٍ إلى بلدٍ آخر في سبيل طلب العلم، والأخذ مِن علماء تلك البلدان وهي سمة مِن سمات طلاب العلم منذ القِدَم. وكان برهان الدِّين النَّسفيُّ أحد أولئك العلماء، ولكنَّه كان مُقِلًّا مقارنة بأقرانه مِن العلماء، فقد اقتصر النَّسفيُّ في تنقُّله وترحاله على ثلاثة بلدان، فقد رحل إلى (دلهي) في الهند يعطي ويفيد طلاب المدارس الَّتي أنشأها الملوك في وقته، ثُمَّ ذهب بعدها إلى دمشق حيث عكف فيها يُدرِّس مدَّةً مِن الزَّمان، ثُمَّ كان آخر مقامه في بغداد[11].

قال الشَّيخ عبد الحيِّ بن فخر الدِّين الحسنيُّ (ت: 1341 هـ) في ترجمته لبرهان الدِّين النَّسفيِّ: «هو الشَّيخ العالم الكبير برهان الدِّين النَّسفيُّ، أحد العلماء المُبرَّزين في الفقه والأصول والعربيَّة، كان يدرِّس ويفيد بدار الملك في دلهي أخذ عنه خلق كثير مِن العلماء والمشايخ»[12].

وكانت آخر رحلاته إلى دمشق، فقد درَّس فيها وانتفع به خلق كثير، ثمَّ قصد عاصمة الخلافة العباسية بغداد سنة خمس وسبعين وستمائة للهجرة، واستقَّر بها إلى أن مات - رحمه الله تعالى – سنة (687هـ)[13].

(11) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: 1/ 216؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 1/ 265.
(12) اللكنوي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، 1/ 88.
(13) الصفدي، المصدر السابق، 1/ 216؛ ابن تغري بردي،

ثانياً: شيوخه وتلاميذه

لم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم شيوخ كثر للنسفي، ولكن عالمًا بمستوى البرهان النَّسفيِّ لا بدَّ أن يكون له شيوخ تتلمذ عليهم حتَّى وصل الى ما وصل اليه ولا سيَّمَا العلوم العقلية، فهي تحتاج إلى عقل مُتفتِّح وشيخ واسع المعرفة ليحوز عليها، وإن كان الغالب أنَّه تتلمذ على علماء نسف في وقته فقد كانت مدينة نسف مشتهرة بالعلم والعلماء وخرَّجت الكثير منهم. والحال كذلك مع التلاميذ فلم أعثر على تلاميذ كُثر له إلاّ على أربعةً منهم، مع العلم أنَّ الحافظ الذَّهبي قال: «وتخرج به خلق»[1]. أمَّا تلاميذهُ الأربعة فهم:

1 - شرف الدِّين الجويني (ت:685هـ) : هو شرف الدِّين هارون بن مُحمَّد الصَّاحب شمس الدِّين بن مُحمَّد الصاحب بهاء الدِّين الجويني صاحب ديوان الممالك في بغداد قرأ على برهان الدِّين النَّسفي بعد قدومه بغداد سنة خمس وسبعين وستمائة. كما قرأ على صفي الدِّين عبد المؤمن البغدادي، وكتب على ياقوت المستعصي الخطاط المشهور، وتصدَّر للتدريس في المدرسة النَّظاميَّة، توفي سنة 685هـ

2 - ابن الفُوَطيُّ (ت: 723هـ) : هو كمال الدِّين، أبو الفضائل عبدالرَّزاق بن أحمد بن مُحمَّد بن أبي المعالي الشَّيباني العالم البارع المحدث الحافظ المفيد مؤرخ الآفاق المعروف بابن الفُوَطيّ - نسبة إلى الفُوَطِ التي كان يبيعها -[2]. مروزي الأصل ترجم لشيخه برهان الدِّين النَّسفي، ولد سنى 642هـ[3]، وصحب نصير الطُّوسي وأخذ عنه علوم الأوائل ومهر على غيره في الأدب والتَّأريخ والشعر وأيام النَّاس، وله النَّظم والنَّثر، وعني بهذا الشَّأن وجَمَعَ وأفاد وصنَّف كتبًا كثيرة منها، المؤتلف والمختلف[4]. قال الذَّهبيُّ: مَهرَ في التَّأريخ وله يد بيضاء في النَّظم وترصيع التَّراجم، وله ذهن سيال وقلم سريع وبصر بالمنطق والحكمة، وكان روضة معارف وبحر أخبار، مات سنة 723هـ[5].

3 - البِرْزالي (ت:739هـ) : هو القاسم بن مُحمَّد بن يوسف بن مُحمَّد بن يوسف بن مُحمَّد، الإمام الحافظ المُؤرَّخ المفيد، علم الدِّين أبو مُحمَّد البِرْزالي نسبة إلى بِرْزلة[6] من بطون البربر، الأشبيلي الأصل، الدَّمشقي ولد بدمشق سنة 665هـ[7]، وسمع من جمعٍ غفير من العلماء، ذكره الحافظ الذَّهبيُّ في معجمه وقال: الإمام الحافظ المتقن الصَّادق الحُجَّة مُفيدنا ومُعلّمنا ورفيقنا محدِّث الشَّام ومؤرخ العصر ومشيخته بالإجازة والسَّماع، توفي سنة 739هـ[8].

٤- جلال الدِّين الحنفيُّ (ت 745 هـ) : أحمد بن الحسن بن أحمد قاضي القضاة، جلال الدِّين الحنفي الأنكوري. ولد بمدينة أنكورية من بلاد

المصدر السابق، 1/ 50.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام،51 / 317؛ والعبر في خبر من غبر، 5/ 346.

(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8/ 109.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام:، 14/ 423؛ والسيوطي طبقات الحفاظ، ص519.

(4) ينظر: المعجم المختص بالمحدثين للذهبي، ص144؛ والأعلام للزركلي، 3/ 349.

(5) ينظر: تذكرة الحفاظ، 4/ 190؛ والوافي بالوفيات، 18/ 250.

(6) وهي اسم قبيلة ومدينة في المغرب حاليًا. ينظر: لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي: (10).

(7) ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4/ 277.

(8) ينظر: معجم الشيوخ الكبير: (1/ 115-116)، وطبقات الشافعية للسبكي، 2/ 279.

الـرُّوم ونشـأ بهـا، وحفـظ القـرآن العزيـز وطلـب العلـم وتفقَّـه عـلى والـده، وقـرأ النَّحـو والتَّفسـير عـلى يزيـد بـن أيـوب الحنفـيِّ، وقـرأ الجامـع الكبـير والزِّيـادات للعتـابيِّ عـلى شـمس الدِّيـن الماردينـيِّ، وقـرأ الخـلاف عـلى العلامـة برهـان الدِّيـن الحنفـيِّ بدمشـق، والفرائـض عـلى العـلاء البخـاريِّ، وبـرع وأفتـى ودرس، وتصـدَّر للإقـراء في حيـاة والـده، وولِّي القضـاء وعمـره سـبع عـشرة سـنة، وحُمِـدَت سـيرته، تـوفي سـنة 745هـ[1].

ثالثاً: آثاره ومصنفاته

صنَّـف برهـان الدِّيـن النَّسـفي كتبًـا متنوعـة، كان أكثرهـا في الـكلام والجـدل والحكمـة وألـفَّ كتابًـا في أصـول الفقـه وكتابًـا في التَّفسـير، وبهـذا تـبرز مكانتـه العلميَّـة كـما وصفـه مترجمـوه فهـو بـارع في العلـوم العقليَّـة. وجملـة مـا ذكـر لـه مـن المصنفـات: أربعـة عـشر مصنَّفًـا وسـنذكر بعضـاً منهـا:

1 – رسالة في الدور والتسلسل[2].
2 – شرح الإشـارات والتَّنبيهـات لابـن سـينا في المنطـق والحكمـة[3].
3 – شرح المنشأ[4].
4 – شرح الرسالة القدسيَّة بأدلتها البرهانيَّة للغزالي[5].
5 – شرح الفصول في الجدل[6].
6 – منشأ النَّظر في علم الخلاف[7].
7 – كشف الحقائق وشرح الدقائق[8].
8 – دفع النَّصوص والنُّقود[9].
9 – مطلع السَّعادة[10].
10 – مقدِّمته المشهورة في علم الخلاف[11].

المبحث الرابع
دراسة عن كتاب
(كشف الحقائق وشرح الدقائق)

أولاً: اسم الكتاب

إنَّ اسـمَ الكتـابِ (كشـف الحقائـق وشرح الدَّقائـق) مثبـت عـلى النُّسـخَتين الَّتـي اعتمدتهـما في التَّحقيـق مـع فـارق بسـيط، فهـو في نسـخة (مـراد مـلا) الَّتـي رمـزت لهـا بـ(م) قـد وجد باسـم (كشـف الحقائـق وشرح الدقائـق مـن تفسـير كلام الله العزيـز) والَّتـي جعلتهـا الأصـل في التحقيـق، وفي نسـخة (فاضـل باشـا) والَّتـي رمـزت لهـا بـ(ف) قـد وجـد باسـم (كشـف الحقائـق وشرح الدقائـق في تفسـير كلام ربِّ العالمـين).

والرَّاجـحُ مِـن تسـميات الكتـاب المتقدِّمـة هـي التَّسـمية الأُولى: (كشـف الحقائـق وشرح الدقائـق مـن تفسـير كلام الله العزيـز)؛ لأنَّـه جـاء التَّصريـح بـه في اللوحـة الأولى مِـن النُّسـخة الأصـل المعتمـدة

(1) ابـن تغـري بـردي، المنهـل الصـافي، 1/ 50؛ وابـن كثـير، البدايـة والنهايـة، 13/ 280.
(2) حاجـي خليفـة، كشـف الظنـون، 1/ 865؛ والبغـدادي، هديـة العارفـين، 3/ 152.
(3) كشـف الظنـون، 1/ 881؛ وهديـة العارفـين، 3/ 152؛ ومعجـم المؤلفـين، 11/ 254.
(4) تنظر: المصادر السابقة.
(5) تنظر: المصادر السابقة.
(6) ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، 1/ 615.
(7) وهـو مطبـوع بتحقيـق د. شريفـة الحوشـاني، كتـاب نُشَـرِ في مجلـة الحكمـة، بريطانيـا –مانشسـتر، العـدد (34).
(8) حاجـي خليفـة، كشـف الظنـون، 2/ 1756؛ بروكلـمان، تاريـخ الأدب العـربي، 1/ 737 وهـو موضـوع دراسـتنا.
(9) الـزركلي، الأعـلام، 7/ 31؛ والبغـدادي، هديـة العارفـين،3/ 152؛ وعمـر رضـا كحالـة، معجـم المؤلفـين، 11/ 254.
(10) ينظـر: كشـف الظنـون، 2/ 1720؛ وهديـة العارفـين، 3/ 152؛ ومعجـم المؤلفـين11/ 254.
(11) تنظر: المصادر السابقة.

في التَّحقيق وهي نسخة (تركيا)، وكذلك نسخة فاضل باشا حيث صرَّح به في نهاية المخطوط وقال: (تمَّ كشف الحقائق وشرح الدقاق في تفسير كلام الله العزيز)[1].

ثانياً: إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

إنَّ جمهور العلماء الَّذين ترجموا لبرهان الدِّين النَّسفيِّ لم يختلفوا في نسبة هذا التَّفسير إليه، ولكن هناك بعض المتأخرين مِن العلماء والمستشرقين قد اضطربوا في ذلك، فنسبوا الكتاب إلى مؤلِّفين اثنين، فقال حاجي خليفة: «وكشف الحقائق في التَّفسير لموفق الدِّين الكواشي»[2]، ونسبه في موضع آخر لبرهان الدِّين النَّسفيِّ[3]، وعدَّ كارل بروكلمان[4] هذا التَّفسير – كشف الحقائق – في ضمن مصنفات الكواشي. وقد أخطأ بروكلمان وصاحب كشف الظُّنون بنسبة هذا التَّفسير للكواشي، وأحسبهم لم يطلعوا على مضمون التَّفسير؛ لأنَّه عند مقارنته بتفسير برهان الدِّين النَّسفيِّ نجده مطابقًا له تمامًا مِن أوَّلِ الكتاب إلى آخره.

ثالثاً: وصف النسخ الخطية

اعتمدتُ في ضبط وتحقيقِ هذا النَّصِّ مِن تفسير (كشف الحقائق وشرح الدَّقائق من تفسير كلام الله العزيز لـ (برهان الدِّين النَّسفيِّ) على نسختين خطِّيَّتين، وكما يأتي:

الأولى: نسخةُ مراد ملا، والمحفوظة في مكتبة السُّليمانيَّة بإسطنبول برقم (29701)، وتقع في ثمان مجلَّدات وبالتَّسلسل الآتي: (101/ 1–8)، (147–154)، عدد أورق التَّفسير المخطوط (2399ق)، وفي كُلِّ ورقةٍ صفحتان، ومسطرتها (23) سطرًا، وعدد كلمات كُلِّ سطر (16) كلمة، وهي نسخةٌ تامَّةٌ واضحة إلَّا في بعض المواضع حيث سقط منها بعض الكلمات، واتَّخذتها النُّسخة الأصل في التَّحقيق، ورمزت لها بالحرف (م)، وخطُّها نسخ معتاد، واتَّبع النَّاسخ نظام التَّعقيبة للمحافظة على تسلسل صفحاتها، واسم ناسخها: (عبدالرَّحيم بن أحمد بن معيوف بن أبي بكر بن ناعم الجزريُّ)، وذكر النَّاسخ تأريخ ومكان نسخها إذ قال: (وكان الفراغ من تعليقه في الثَّامن من نهار السَّبت المبارك، والتَّاسع من رمضان المعظَّم من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة أحسن الله خاتمها، وكان ابتداء تعليقه بدمشق المحروسة ... وبالقدسِ الشَّريفِ، وتكملة الكتاب بمدينة غزَّة المحروسة...).

الثَّانية: نسخة فاضل باشا في (كوبريلي)، والمحفوظة في مكتبة السُّليمانيَّة بإسطنبول برقم: 10/ 77[123]، وعدد أوراقها: (744) ورقة، وفي كُلِّ ورقةٍ صفحتان، ومسطرتها (41) سطرًا، وخطُّ نسخها فارسيٌّ، وهي نسخة جيِّدة ومشكولة في بعض المواضع إلَّا أنَّ فيها بياضًا في بعض الأوراق، واسم ناسخها: يوسف بن حسين محمود بن حسين المعروف بالفارسيِّ، وذكر النَّاسخ تأريخ إتمام نسخها في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة في سلطانيَّة، ورمزت لها بالحرف (ف) وجعلتها نسخة ثانية في التَّحقيق.

(1) ومما تجدر الإشارة إليه أن ثمة فرقًا يسيرًا في التسمية بين نسخة مراد ملا وفاضل باشا، ففي الأولى الموجود (من كلام الله العزيز) وفي الثانية (في كلام الله العزيز) فالخلاف فقط في حرف الجر.

(2) كشف الظنون،2/ 148. والكواشي: هو الإمام العلامة الزاهد الكبير، أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، موفق الدِّين أبو العباس الكواشي المفسر الموصلي الشافعي (ت:680هـ) قرأ القرآن على والده واشتغل وبرع في القراءات والتَّفسير والعربية والفضائل.
ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 50/ 342)، والعبر، 5/ 327؛ وطبقات الشافعية، 1/ 130

(3) ينظر: كشف الظنون، 2/ 1756.

(4) ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/ 737، ونسبه أيضًا للبرهان النسفي في الموضع نفسه.

رابعاً: منهج المؤلف في الكتاب

من خلال النظر والتدقيق والاستنتاج نعلم أنّ للإمام النسفي منهج علمي سديد اتبعه في تفسيره حيث لم يدع فناً من الفنون التي تتعلق بعلم التفسير إلاّ وذكره ليخرج لنا بهذا التفسير الرائع الذي هو بحق تفسير شامل بكل ما تعنيه الكلمة من ذلك العلم الجليل. ونظراً لمحدودية البحث فسنأخذ أبرز ما ورد في منهجه بتفسير كشف الحقائق.

1 – اعتمد النسفي في تفسيره ببيان المعنى اللغوي للآيات وذكره الوجوه والنظائر كمثل قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران:81].

فقد بيَّنَ الإمام النَّسفيُّ المعنى اللُّغَويِّ لكلمة (الأَخذ) في الآية فقال: أي قبلتُم عهدي، مستدلًّا لهذا المعنى بآيات أُخرى، حيث قال: جاء الأخذ بمعنى القَبُولِ كثيراً، قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 48]، أَي: **لا يُقبلُ منها فديةٌ**، وقال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: 104] **أي يقبلُها**.

2 – عند تفسيره القرآن بالسنّة فانه يستشهد بأقوال من السنّة مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:97].

فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾، قول النبي ﷺ أنه فسّر الاستطاعة بالزاد والراحلة.

3 – عند تفسيره القرآن بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين، فإنّه يُكثر من اقوال الصحابة والتابعين في بيان بعض معاني كلمات القرآن وفي بيان المراد من مقاصد الآية وأحياناً يذكر الخلاف والمراد منه اختلاف تنوّع مثال قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133].

فقال النسفي: وعن عثمان ﷺ أنه قال: أنه هو الإخلاص، إذ المقصود من العبادات هذا. وعن علي ﷺ أنه قال: هو أداء الفرائض، وعن أبي العالية رحمه الله: هو الهجرة.

4 – أسهب النسفي في ذكر القراءات مع نسبتها لمن قرأ بها من الأئمة القراء وتوجيهها وبيان الصحيح منها والشاذ مثل: قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران 146].

قرأَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرو: (قُتِل معه)، والباقونَ (قاتلَ معه)، فعلى القراءةِ الأُولى يكونُ المعنى: إنَّ كثيرًا مِن الأنبياءِ قُتِلوا، والَّذينَ مِن بعدِهم ما وهنوا في دِينِهم بلْ استمروا على جهادِ عدوِّهم، ونصرةِ دينِهم فكانَ ينبغي أن يكونَ حالُكم هكذا. وفيه وجهٌ آخرٌ وهو أن يكونَ المعنى: وكأيّن مِن نبيٍّ قُتِل مِمَّن كانَ معه وعلى دينِهِ رِبِّيُّونَ كثيرٌ فما ضعفَ الباقونَ ولا استكانوا لقتلِ مَن قُتل مِن إخوانهم بلْ مضوا على (جهادِ عدوِّهم)، فعليكم أن تكونوا كذلكَ وحجَّةُ هذه القراءةِ أنَّ المقصودَ مِن هذهِ الآيةِ حكايةُ ما جرى لسائرِ الأنبياءِ، وعلى القراءةِ الثَّانيةِ المعنى: وكمْ مِن نبيٍّ قاتَلَ معهُ العددُ الكثيرُ مِن أصحابِهِ فأصابَهُم مِن عدوِهِم قرحٌ فما وهنوا؛ لأنَّ ما أصابَهُم إنَّما هو في سبيلِ الله وطاعتهِ وإقامةِ دينهِ ونصرةِ رسولهِ فلكم أن تفعلوا مثلَ ذلكَ، وحجَّةُ هذهِ القراءةِ أنَّ المقصودَ هو ترغيبُ أصحابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في القتال.

5 – لم يغفل النسفي القراءات الشاذة فقد تناولها أيضاً في تفسيره مثل قولهُ تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: 97]. وأمَّا قراءةُ ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ: (فيه آيةٌ بيِّنةٌ).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: 153]. قرأ الحسنُ: إذ تَصعَدُونَ في الجبل.

6 – المؤلف يراعي في تفسيره الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم مثل: قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92].

اختلفَ المفسِّرونَ في قولهِ: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

نقل الواحديُّ عن مجاهدٍ والكَلبيِّ: أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآيةِ الزَّكاةِ وأنَّه بعيد؛ لأنَّ إيجابَ الزَّكاةِ كيف ينافي التَّرغيبَ في بذلِ المحبوبِ لوجهِ الله.

7 – المؤلف يراعي في تفسيره القرآن بشتى أنواع فَنون اللغة وذلك من خلال عنايته بمعاني المفردات وتفسير الغريب وعنايته بالفروق اللغوية وعنايته بالجانب النحوي والبلاغي كقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: 119] .

واعلمْ أنَّ هذا نوعٌ آخرُ مِن تحذيرِ المؤمنينَ عن مخالطةِ المنافقينَ، قال الزَّمخشريُّ: (ها) للتَّنبيه، و(أنتم) مبتدأ، و (أُوْلَآءِ) خبرهُ. و (تُحِبُّونَهُمْ) في موضعِ النَّصبِ على الحالِ مِن اسمِ الإشارةِ، ولا يجوزُ أن يكونَ (أُوْلَآءِ) بمعنى الَّذين، (تُحِبُّونَهُمْ) صِلَةٌ له، والموصولُ مع الصِّلةِ خبرُ (أنتم)، وعند الفرَّاءِ (أُوْلَآءِ) خبرُ و (تُحِبُّونَهُمْ) خبرٌ بعدَ خبرِ والله أعلم.

خامساً: منهجي في التحقيق

1 – مقابلة النُّسخ الموجودة، وإثبات الفروق والتَّرجيح بينها، وبيان الزِّيادة والنَّقص في الكلمات والجمل.

2 – عزو الآيات إلى السُّور مع بيان رقم الآية، وقد جعلت ذلك في المتن.

3 – تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، واتَّبعت فيه ما يأتي:

أ– إذا ورد الحديث أو الأثر في الصَّحيحين أكتفي بهما أو بأحدهما دون الحاجة إلى الحكم على الحديث.

ب– إذا لم يرد في الصَّحيحين خرَّجته حيثما ورد في كتب السُّنن والمسانيد، ومِن ثُمَّ الحكم عليه من مظانِّه.

4 – توثيق الأقوال من مصادرها الأصيلة، بمراجعة أُمهات المصادر اللُّغويَّة والبلاغيَّة والأصوليَّة والفقهيَّة فضلًا على كتب التَّفسير.

5 – تنسيق وضبط وتفقير العبارات بما يناسبها من العلامات، مع مراعاة قواعد الإملاء الحديث.

6 – التَّعليق على بعض العبارات الَّتي تحتاج إلى ما يحلُّ مشكلها ويُوضِّح غامضها.

7 – إبراز رؤوس المسائل والأقسام بخطٍّ أسود عريض.

8 – ترجمت للأعلام وبعض المدن، ولم أقم بترجمة الشخصيات البارزة جدا وأئِمَّة الفقه المشهورين فضلاً عن بعض المدن المشهورة.

9 – الحقت بعض صور لنسخ المخطوطات التي تمت مقابلتها ببعضها.

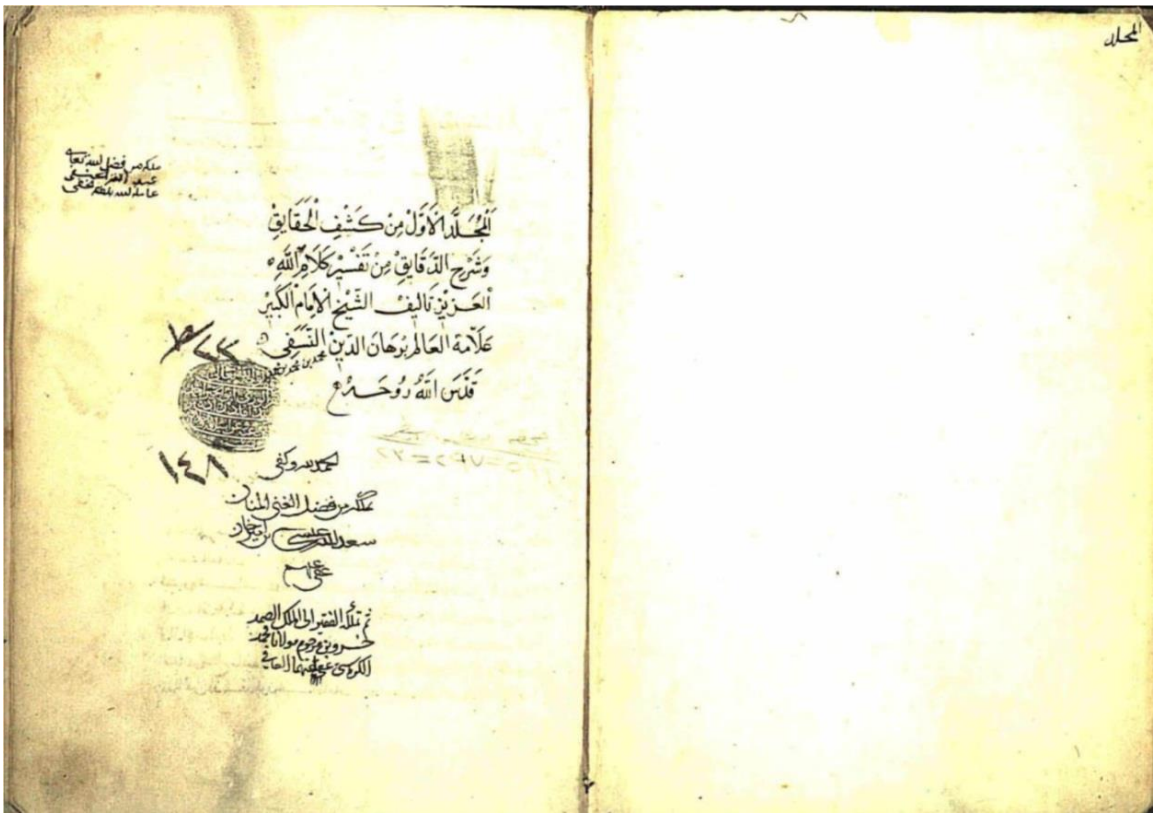
المجلد الأول من كشف الحقائق
وشرح الدقائق من تفسير كلام الله
العزيز تأليف الشيخ الإمام الكبير
علامة العالم برهان الدين النسفي
قدس الله روحه

المبحث الخامس
النص المحقق

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 110].

إِنَّهُ تعالى لَمَّا أَمرَ المؤمنينَ ببعضِ الأشياءِ، ونَهَاهُم عن بعضِهَا، وحَذَّرَهُم مِن أَن يكونوا مِثلَ أَهلِ الكتابِ في التَّمرُّدِ، وذَكرَ عقيبَهُ ثوابَ المؤمنينَ، وعِقابَ الكافرينَ، والمرادُ مِن الكُلِّ حَملُ المكلَّفينَ على الانقيادِ والطَّاعةِ، ومَنعهُم عن التَّمرُّد.

ثُمَّ أَردفَ ذلك بطريقٍ آخرَ يقتضي حَملَ المكلَّفينَ على الانقيادِ والطَّاعةِ فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، [ورقة306أ] والمعنى: كنتم في اللَّوحِ المحفوظِ خيرَ الأُمَمِ وأفضلَهُم.

ثُمَّ في الآيةِ مِن المباحث:

الأَوَّل: لفظةُ (كان) قد تكونُ تامَّةً، وقد تكونُ ناقصةً، وقد تكونُ زائدةً، على ما هو المسطورُ في النحوِ[1].

واختلفَ المفسرونَ في قولِهِ تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾ على وجوه:

منهم: مَن قال: (كان) هنا تامَّةٌ بمعنى: الوقوعُ

(1) ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج 1/ 91؛ واللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ، 2/ 577؛ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1/ 288.

والحدوثُ، وهي لا تحتاجُ إلى الخبرِ، والمعنى: وُجِدْتُم وخُلِقْتُم خيرَ أُمَّةٍ[1].

[وقولُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾][2] بمعنى: الحال[3].

ومنهم: مَن قال: (كان) هنا ناقصةٌ[4]، وفيه سؤالٌ وهو أنَّه يوهمُ أنَّهم كانوا موصوفينَ بهذه الصفةِ، ثُمَّ أنَّهم ما بقوا الآن عليها؟ والجوابُ: إنَّ قوله: (كان) عبارةٌ عن وجودِ الشَّيءِ في الماضي على سبيلِ الإبهام، ولا يَدُلُّ ذلك على انقطاعٍ طارئٍ، بدليل قوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 96]، وعلى التَّقدير فيه أقوال:

أحدهما: كنتم في علم الله تعالى خير أُمَّة[5].

[وثانيها: كنتم في الأُمِمِ الذينَ كانوا مِن قبلُ مذكورينَ بأنَّكم خيرُ أُمةٍ[6].

وثالثها: كنتم منذُ آمنتم[7].

ورابعها: كنتم في اللَّوحِ المحفوظِ خيرَ أُمةٍ.][8]

وخامسها: وهو قولُ أبي مُسلم قوله:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، تابع لقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾، والتَّقدير: أنَّهُ يُقالُ لهم عندَ الخلودِ في الجنَّةِ: كنتم في دُنيَاكُم خيرَ أُمَّةٍ، فَاستَحقَّيتُم ما أنتم فيه مِن الرَّحمةِ[9].

ومنهم: مَن قال: (كان) هنا زائدةٌ تُذكرُ للتَّأكيد[10]، وقال ابنُ الأنباريِّ: هذا القولُ ظاهرُ الاختلالِ؛ لأنَّ كان لا تُلغَى إلَّا مُتوَسِّطَةً ومُتأَخِّرَةً، تقولُ العربُ: عبدُ الله كان قائمٌ، وعبدُ الله [قائمٌ][11] كان، ولا يقولون: كان عَبدُ الله قائمُ على إلغائها؛ لأنَّ طريقَهم أن يبدؤوا بما ينصرفُ العنايةُ إليه، والمُلغَى لا يكونُ في محلِ العنايةِ؛ ولأنَّهُ لا يكونُ مُلغَى وقد انتصبَ خبرهُ في الآيةِ[12].

ومنهم: مَن قال: (كان) هنا بمعنى صارَ فقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، صِرتُم خيرَ أُمَّةٍ؛ بسببِ الإيمانِ والأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ[13].

ثُمَّ قال:

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾

يعني كما أنَّكم اكتسبتُم هذه الخيريةَ؛ بسببِ هذهِ الخصالِ، فأَهلُ الكتابِ لو آمنوا لحصلتْ لهم أيضًا هذهِ الخيريةِ.

الثَّاني: قال الزَّجَّاج: قوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، ظاهرُ الخطابِ فيه مع أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، ولكنَّهُ عامٌّ في جميعِ الأُمَّةِ كما في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: 178][14].

الثَّالث: قال القَفَّالُ: أَصلُ الأُمَّةِ الطَّائفةُ المجتمعةُ على الشَّيءِ الواحدِ فأُمَّةُ نَبِيِّنَا هم

(1) ينظر: جامع البيان، 7/ 106؛ والكشاف، 1/ 400؛ والكشف والبيان، 3/ 126.

(2) سقط من (م).

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، 1/ 489.

(4) قال به الفراء ينظر: معاني القرآن، 1/ 229؛ والزجاج، معاني القرآن وإعرابه،1/ 456.

(5) ينظر: الكشاف، 1/ 400؛ والمحرر الوجيز، 1/ 489.

(6) ينظر: الكشاف، 1/ 400؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي،1/ 282.

(7) ينظر: معاني القرآن للزجاج، 1/ 456؛ ومعاني القرآن، للنحاس 1/ 459.

(8) سقط من (م). ينظر: معاني القرآن للنحاس،1/ 459.

(9) ينظر: مفاتيح الغيب،8/ 324.

(10) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، 2/ 1094؛ ودرج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني1/ 420.

(11) سقط من (ف).

(12) ينظر: التفسير البسيط، 5/ 494.

(13) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 1/ 348)، وغرائب التفسير للكرماني 1/ 265؛ والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، 1/ 284.

(14) ينظر: معاني القرآن، 1/ 456.

الموصوفون بالإيمانِ، وهُم أُمَّةُ المتابعة، لا أُمَّةُ الدَّعوة ولا يُطلقُ اللَّفظُ على أُمَّةِ الدعوةِ إلَّا بهذا القيد[1].

وأمَّا قوله: ﴿ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، ففيه قولان:

أحدهما: أيْ ظهرتْ للنَّاسِ حتَّى تَمَيَّزتْ [ورقة 306 ب] وعُرِفَت[2].

وثانيهما: قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾، مِن تمامِ قوله: ﴿كُنتُمْ﴾، [والتَّقدير: **كنتم للنَّاسِ خيرَ أُمَّةٍ**[3]، ومنهم: من قال:

صلة[4]، والتَّقدير: كنتم خيرَ أُمَّةٍ للنَّاسِ[5].

ثُمَّ قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، فهذا كلامٌ مُستَأنفٌ، والمقصودُ منه بيانُ عِلَّةِ تلك الخيريَّةِ وفيه مِن الأسئلة:

أحدها: مِن أَيِّ وجهٍ يقتضي هذه الأمور، أَنَّ هذه الأُمَّةِ خيرَ الأُمَمِ معَ أَنَّها حاصلةٌ لسائرِ الأُمَمِ؟ والجوابُ: قال القَفَّالُ: وجهُ ذلك أَنَّ هذه الأُمَّةَ ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، بِأَبلَغِ الوجوهِ وهو القتالُ[6]، إذ الأَمرُ بالمعروفِ قد يكونُ بالقلبِ، وقد يكونُ باللِّسانِ، وقد يكونُ بالسِّنانِ، وهذا هو الأقوى، فإنَّ فيه إلقاء في مَعرضِ التَّلفِ، وأَعرفُ المَعرُوفَاتِ الإيمانُ بالله وبرسولِهِ، وأَنكرُ المُنكراتِ الكفرُ بالله، ويُمكنُ أن يُجَابَ عنه بأنَّ فضلَ هذهِ الأُمَّةِ علَى سَائرِ الأُمَمِ؛ لأجلِ أَنَّ هذه الأُمَّةَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ[7].

وثانيهما: لِمَ قدَّمَ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ على الإيمانِ بالله في الذِّكرِ؟ والجوابُ: إنَّ الإيمانَ أَمرٌ مشتركٌ بينَ جميعِ الأُمَمِ فلا يُمكنُ أن يكونَ مؤثرًا في خيريَّةِ البعضِ، بل المُؤَثِّرُ هو الإيمانُ، معَ ما يكونُ مخصوصًا بهذهِ الأُمَّةِ، وهو أَنَّهم أَقوى حالًا في الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، والمقصودُ في هذا المقامِ بيانُ ما يُؤَثِّرُ في الخيريةِ فَتقدَّمَ ما يحصلُ منه المُؤَثِّر.

وثالثها: لِمَ اكتفى بذكرِ الإيمانِ بالله ولَمْ يذكرْ الإيمانَ بالنُّبُوَّةِ؟ والجوابُ: إنَّ الإيمانَ بالله مشتَملٌ على الإيمانِ بالنُّبُوَّةِ، فَلا يُوجدُ الإيمانُ بالله إذا لَمْ يُوجدْ الإيمانُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ قال تعالَى:

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾

[آل عمران: 110] وفيه وجهان:

أَحدُهما: لو آمنَ أَهلُ الكتابِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لكانوا مِن هذهِ الأُمَّةِ، فَحَصلتْ لهم صِفةُ الخَيريّةِ الَّتي لهذه الأُمَّةِ، والمقصودُ هو التَّرغيبُ.

وثانيهما: أَنَّ أَهلَ الكتابِ إنَّما آثروا دِينَهم على دِينِ الإسلام؛ حُبًّا للرِّيَاسَةِ واستتباعَ العوام، ولو آمنوا لحصلتْ لهم هذهِ الرِّياسةُ في الدُّنيا مع الثَّوابِ العظيمِ في الآخرةِ، فكان ذلك خيرًا لهم.

واعلَمْ بأَنَّهُ تعالى أَتبعَ هذا الكلامَ بجملتينِ على سبيلِ الابتداءِ مِن[8] غيرِ عاطفٍ.

أَحدُهما: قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران:110].

[ورقة 308أ] **وثانيهما**: قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران: 111].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 325.

(2) ينظر: تأويلات أهل السنة، 2/ 450؛ والتفسير البسيط، 5/ 498.

(3) وهو قول أبي هريرة وقتادة، ينظر: الكشف والبيان، 3/ 127.

(4) في (ف) تصحيف (القفَّال).

(5) ينظر: الكشف والبيان، 3/ 127؛ وتفسير البغوي، 2/ 90.

(6) في (ف) تصحيف (أعرض).

(7) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 326.

(8) في (ف) (في).

قالَ في الكشَّافِ: هما كَلَامَانِ وَارِدَانِ على سبيلِ الإستطرادِ عندَ إجراءِ ذكرِ أهلِ الكتابِ؛ ولذلك جاءَ من غيرِ عاطفٍ[1].

[أمَّا قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾][2]، فالقائلُ أن يقول فيه: الألفُ واللَّامُ في قوله: (ٱلْمُؤْمِنُونَ) للاستغراقِ[3] أو للمعهودِ[4]؟ والجواب: أنَّها للمعهودِ السَّابقِ، والمرادُ: عبدُ الله بنُ سلام، ورهطُهُ مِن اليهودِ، والنَّجاشيُّ، ورهطُهُ مِن النَّصارى[5]، وله أن يقولَ أيضًا: الوصفُ إنَّما يُذكَرُ للمبالغةِ فأيُّ مبالغةٍ في وصفِ الكافرِ بأنَّهُ فاسقٌ؟ والجوابُ: إنَّ الكافرَ قد يكونُ [عدلًا في][6] دينهِ، وقد يكونُ فاسقًا [في][7] دينهِ، فيكونُ مردودًا [عند][8] الطَّوائفِ كُلِّهم.

[أمَّا][9] قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾، فاعلمْ أنَّهُ تعالى لَمَّا رَغَّبَ المؤمنينَ في التَّصلُّبِ في إيمانهم، وتركِ الالتفاتِ إلى أقوالِ الكفَّارِ وأفعالِهم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، رَغَّبَهُم فيهِ مِن وجهٍ آخرَ، وهو أنَّهُم لا قدرةَ لهُم على الإضرارِ بالمسلمينَ إلَّا بالقليلِ مِن القولِ الَّذي لا عبرةَ بهِ، ولو أنَّهُم قاتلوا المسلمينَ صاروا منهزمينَ مخذولينَ، فكُلُّ ذلكَ تقريرٌ لَما تقدَّمَ مِن قوله: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، هذا وجهُ النَّظم.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾، فمعناه: أنَّهُ ليس على المسلمينَ مِن كفَّارِ أَهلِ الكتابِ ضررٌ، وإنَّما منتهى أَمرهم أن يؤذوكم باللِّسانِ، إمَّا بالطَّعنِ في مُحَمَّدٍ وعيسى عليهما السَّلام، وإمَّا بإظهارِ كلمةِ [الكفرِ][10]، وإمَّا بغيرِ ذلك[11].

ثُمَّ مِن النَّاسِ مَن قال ﴿إِلَّآ أَذًى﴾، استثناءٌ منقطعٌ[12]، وذلك بعيدٌ؛ لأنَّ[13] الأذى مِن جنسِ الضَّررِ، وهو الضَّررُ اليسيرُ ، وأَنَّهُ مصدرُ آذيتُ الشَّيءَ أذىً[14].

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، وهو إخبارٌ بأنَّهم لو قاتلوا[15] المسلمين لصاروا منهزمينَ مخذولينَ.

ثُمَّ: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾، أي: بعدَ صيرورتهم منهزمينَ لا تحصلُ لهم شوكةٌ ولا قوَّةٌ البتَّةَ، ومثلُهُ

(1) الكشاف، 1/ 401.
(2) سقط من (ف).
(3) وهي ما تشمل جميع أفراده، كقوله تعالى (وخلق الإنسان ضعيفا)، أي كل فرد منه، وعلامتها أن يصلح وقوع (كل) موقعها. ينظر: جامع الدروس العربية للغلاييني، 1/ 148.
(4) وهو مصطلح نحوي يكون للعهد الذكري وهي ما سبق لمصحوبها ذكر في الكلام، كقولك «جاءني ضيف، فأكرمته، أي الضيف المذكور. وإمَّا أن تكون للعهد الحضوري وهو ما يكون مصحوبها حاضرا، مثل «جئت اليوم»، أي اليوم الحاضر الذي نحن فيه، وإما أن تكون للعهد الذهني وهي ما يكون مصحوبها معهودا ذهنا، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، مثل: حضر الأمير، وكأن يكون بينك وبين مخاطبك عهد برجل، فتقول: حضر الرجل، أي الرجل المعهود ذهنا بينك وبين من تخاطبه. جامع الدروس العربية، للغلاييني، 1/ 147.
(5) ينظر: جامع البيان، 7/ 107، وبحر العلوم، 1/ 238.
(6) سقط من (م) و(ف)، وما أثبته من مفاتيح الغيب، 8/ 327.
(7) سقط من (م) و(ف)، وما أثبته من مفاتيح الغيب، 8/ 327.
(8) سقط من (م) و(ف)، وما أثبته من مفاتيح الغيب، 8/ 327.
(9) سقط من (ف).
(10) سقط من (م).
(11) هو قول ابن جريج، ينظر: جامع البيان، 7/ 108؛ وتفسير ابن أبي حاتم ، 3/ 735.
(12) ينظر: جامع البيان، 7/ 108.
(13) في (م) (فإنَّ).
(14) ينظر: جمهرة اللُّغَة، 1/ 234؛ وتهذيب اللُّغَة، 15/ 40.
(15) في (ف) تصحيف (قالوا).

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الحشر: 12]، وكُلُّ ذلكَ وعدٌ بالظَّفر.

واعلمْ أنَّ هذهِ الآيةَ مشتملةٌ على الإخبارِ عن الغُيوبِ، كأَمنِ أَهلِ الإيمانِ، وانهزامِ أهلِ الكفرِ، وعدمِ النُّصرةِ بعد انهزامهم، وقد وقعَ جميعُ هذه الأمورِ كما أخبرَ [ورقة308ب] اللهُ تعالى عنه، وفيه من السُّؤالات:

الأوَّل: هَبْ أنَّ اليهودَ كذلك، لكنَّ النَّصارى ليس كذلك، وهذا يقدحُ في الصِّحةِ؟ فالجوابُ: أنَّ هذهِ الآياتِ مخصوصةٌ باليهودِ بالنقل[1].

الثَّاني: هَلَّا[2] جُزِمَ قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؟ والجواب: إنَّه عدَلَ بهِ[3] عن حكمِ الجزاءِ إلى حكمِ الإخبارِ ابتداءً، كأنَّهُ قيل: أُخبرُكُم أنَّهُم لا يُنصَرونَ، والفائدةُ أنَّهُ إذا جُزِمَ كان نفي النَّصرِ مقيدًا بمقابلتِهِم وتوليةِ الأدبارِ، وإذا رُفِعَ كان نفيُ النَّصرِ وعدًا مطلقًا.

الثَّالث: ما الَّذي عُطِفَ عليه قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؟ والجواب: هو جملةُ الشَّرطِ والجزاءِ، فكأنَّه[4] قيل: أُخبِرُكُم أنَّهُم إن قاتلوكُم ينهزمُوا، ثُمَّ أُخبركُم أنَّهُم لا يُنصرُون.

قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: 112].

إنَّه تعالى لَمَّا بيَّنَ أنَّهُم إن قاتلوا رَجعوا وخُذِلوا، بيَّن أنَّهم مع ذلك ضُربت عليهم الذِّلة، وقد مرَّ تفسيرُ هذه اللَّفظةِ في البقرةِ، والمعنى: جُعِلَتْ الذِّلَّةُ مُلصقةٌ بهم كالشَّيءِ يُضرَبُ بالشَّيءِ يلتصقُ بهِ، والذِّلَّةُ: هي الذُّلُّ[5]، وفي هذا الذُّلِّ أقوال:

الأوَّل: وهو الأقوى أن يُحارِبُوا ويُقتَلُوا وتُغنَم أموالُهم وتُسبَى ذُرِّيَّاتهم[6].

والثَّاني: أَنَّ هذه الذِّلَّةَ هي الجزيةُ؛ لأنَّ ضربَ الجزيةِ يُوجِبُ الصَّغارَ[7].

الثَّالث: إنَّ المرادَ منها أنَّك لا ترى فيهم مَلِكًا قاهرًا ولا رئيسًا مُعتبرًا، بل هم مُستَخَفُّونَ في جميع بلاد المسلمين[8]، ومنهم مَن قال: لا يُمكنُ أن يُقَالَ المرادُ مِن الذِّلَّةِ هو الجزيةُ فقط؛ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يقتضي زوالُ تلك الذِّلَّةِ عندَ حصولِ هذا الحبلِ، والجوابُ عنه: أنَّ هذا الاستثناءَ منقطعٌ وهو قولُ مُحَمَّدِ بنِ جرير[9] فقوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، تقديره: لكن قدْ يعتصمونَ بحبلٍ مِن الله، وحبلٍ مِن النَّاسِ، غيرَ أَنَّهُ ضعيفٌ، فإنَّهُ لا يتمُ إلَّا بإضمارِ الشَّيءِ الَّذي يُعصَمونَ بهذه الأشياءِ، والإضمارُ خلافُ الأصلِ، والأَولى أن تُحمَلَ الذِّلَّةُ على الجميعِ، نحو الجزيةِ وغيرها، وفائدةُ الاستثناءِ أَنَّهُ لا يبقى مجموعُ هذهِ الأمورِ، وذلكَ لا ينافي بقاءَ بعضِ هذهِ الأمورِ.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾، **أي وُجِدُوا أو صُودِفوا وهذا مِن جملةِ ما قد مرَّ**، وأمَّا قولُهُ: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ففيه وجوه:

أحدها: وهو قولُ الفرَّاءِ: التَّقدير: إلَّا أن يعتصموا بحبلٍ مِن الله[10].

وثانيها: أنَّ هذا الاستثناءَ واقعٌ على طريقِ المعنى؛ لأنَّ معنى ضربِ الذِّلَّةِ لزومِها إياهُم على أَشدِّ الوجوهِ، فكأنَّهُ قيل: لا تنفكُ عنهم الذِّلَّةُ

(1) أي بما نُقِلَ من أسباب النزول.
(2) في (ف) تصحيف (هذا).
(3) سقط من (ف).
(4) في (ف) (كأنَّ).
(5) ينظر: جامع البيان، 7/ 110.
(6) ينظر: جامع البيان، 2/ 314؛ ومعالم التنزيل، 1/ 139.
(7) وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة، ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، 1/ 111؛ وجامع البيان، 2/ 314.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 328.
(9) جامع البيان، 7/ 115.
(10) ينظر: معاني القرآن، 1/ 230.

ولن يتخلفوا عنها إلَّا بحبلٍ مِن الله وحبلٍ مِن [ورقة310أ] النَّاسِ[1].

وثالثها: أن يكونَ (البَّاء) بمعنى (مع)[2] والتَّقدير: إلَّا مع حبلٍ مِن الله، وقد تقدَّمَ أنَّ المرادَ مِن الحبلِ عهدُهُ، ومنهم مَن قالَ في المغايرةِ بينهما: أَنَّ حبلَ الله هو الإسلامُ وحبلُ النَّاسِ هو العهدُ والذِّمَّةُ[3]، ومنهم مَن قال: المرادُ بكلا الحبلينِ العهدُ والذِّمَّةُ والأمانُ المأخوذُ بإذنِ الله[4].

ثُمَّ قال: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وقد ذكرنا أنَّ معناه مكثوا ودامُوا في غضبِ الله، وإنَّهُ مأخوذٌ مِن المُبَوأ وهو المكان[5].

[ثُمَّ قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾،][6] عندَ الأكثرِ هي الجزيةُ[7]، ومنهم مَن قال: المرادُ منها أنَّ اليهوديَّ يُظهرُ مِن نفسهِ الفقرَ وإن كان غنيًا مُوسَرًا[8].

ومنهم مَن قال: هذا إخبارٌ مِن الله تعالى بأنَّهُ جعلَ اليهودَ رزقًا للمسلمينَ فيصيرونَ مساكينَ[9].

ثُمَّ إنَّهُ تعالى لَمَّا ذكرَ هذهِ الأنواعَ مِن الوعيدِ فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، والمعنى أَنَّهُ تعالى أَلحقَ اليهودَ بثلاثةِ أنواعٍ مِن المكروهاتِ:

أوَّلها: جعلَ الذِّلَّةَ لازمةً لهم.

وثانيها: جعلَ غضبَ الله لازمًا لهم.

وثالثها: جعلَ المسكنةَ لازمةً لهم.

ثُمَّ بيَّنَ في هذهِ الآيةِ[10] أنَّ العلَّةَ لإلصاقِ هذهِ الأمورِ المكروهةِ هي أنَّهم كانوا يكفرونَ بآياتِ الله، ويقتلونَ النَّبيِّينَ بغيرِ حقٍّ، ثُمَّ لقائلٍ أن يقولَ فيهِ: الذِّلَّةُ والمسكنةُ إنَّما التصقتْ باليهودِ بعدَ ظهورِ دولةِ الإسلام، والَّذينَ قتلوا الأنبياءَ بغيرِ حقٍ كانوا مِن قبلُ بأَدوار وأَعصار؟ والجواب: أنَّهم وإن لم يصدرْ عنهم قتلَ الأنبياءِ لكنَّهم كانوا راضينَ بفعلِ أسلافِهم فنسبَ ذلك الفعلَ إليهم.

فإن قيل: لِمَ كرَّرَ قولهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾، ولا يصحُّ أن يقال: إنَّه للتَّأكيد؛ لأنَّ التَّأكيدَ شيءٌ أقوى، والعصيانُ لا يكونُ أقوى مِن الكفرِ؟ والجوابُ عنه مِن وجهين:

أحدهما: أنَّ علَّةَ الذِّلَّةِ والمسكنةِ هي الكفرُ وقتلُ الأنبياءُ، وعلَّةُ الكفرِ وقتلِ الأنبياءِ هي المعصيةُ؛ وذلك لأنَّهم لَمَّا توغلوا في المعاصي كانت ظُلُماتُها تتزايدُ حالًا فحالًا، فقولهُ[11] تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾، إشارةٌ إلى علّةِ العلّةِ.

وثانيها: أَنَّهُ يَحتملُ أن يريدَ بقولهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾، مَن تقدَّمَ منهم، ويريدُ بقولهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ مَن حضرَ منهم في زمانِ الرَّسولِ ﷺ وعلى هذا لا يلزمُ التَّكرارُ.

قولهُ تعالى:﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ

(1) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، 2/ 1096؛ والكشاف، 1/ 401.
(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، ص:140.
(3) وهو قول ابن زيد، ينظر: المحرر الوجيز، 1/ 483.
(4) وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي وعطاء وابن جريج، ينظر: جامع البيان، 7/ 112؛ ومعالم التنزيل، 2/ 92.
(5) ينظر: جمهرة اللُّغة، 1/ 229)، والصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، للجوهري،1/ 37.
(6) سقط من (ف).
(7) وهو قول الضحاك، ينظر: تفسير ابن المنذر، 1/ 337؛ وتفسير ابن أبي حاتم، 1/ 125.
(8) عزاه السمرقندي للكلبي، ينظر: بحر العلوم، 1/ 239؛ والمحرر الوجيز، 1/ 491.
(9) وهذا قول عطية، تفسير ابن أبي حاتم، 3/ 736.
(10) في (م) تصحيف (الثلاثة).
(11) في (م) (قوله).

يَسۡجُدُونَ ﴾[آل عمران: 113]. وفيه من المباحث:

الأوَّل: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾، كلامٌ تامٌّ: وقوله: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، كلامٌ مستأنفٌ [ورقة310ب] لبيانِ قوله: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾[1]، كما وقعَ قولُهُ تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾، بيانًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾، والمعنى: أنَّ أَهلَ الكتابِ الَّذينَ سبقَ ذِكرهم ليسوا سواءً وهو تقريرٌ لِما تقدَّم مِن قوله: ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

ثُمَّ ابتدأ فقال: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾، فقوله: ﴿أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ يَدُلُّ على أُمَّةٍ غيرِ قائمةٍ وتلك[2] لا تُذكَر؛ لأنَّ ذكرَ أَحدَ الضدينِ يُغني عن ذكرِ الضدِ الآخر، ومنهم مَن قال: قوله: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ غير تامٍّ ولا يجوزُ الوقفُ عندَهُ، بلْ هو متعلِّقٌ بما بعده، والتَّقديرُ ليسوا سواءً أُمَّةٌ قائمةٌ وأُمَّةٌ مذمومةٌ، فإنَّه رُفِعَ بِلَيسَ، وإنَّما قيل: ليسوا سواءً، على مذهب أكلوني البراغيثُ[3].

الثَّاني: يقال: فلانٌ وفلانٌ سواءٌ أي متساويانِ وقومٌ سواءٌ؛ لأنَّهُ مصدرٌ لا يُثنَّى ولا يُجمعُ[4] وقد مَرَّ الكلامُ فيه.

الثَّالث: المرادُ (بأهلِ الكتابِ) عندَ الجمهورِ الَّذينَ آمنوا بمُوسى وعيسى عليهما السَّلام، رُوِيَ أنَّه لَمَّا أَسلمَ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُهُ قال: لهم بعضُ كفَّارِ اليهودِ لَقد كفرتُم وخسرتُم، فأنزلَ اللهُ تعالى لبيانِ فضلِهم هذهِ الآيةِ[5] وقيل: إنَّهُ تعالى لَمَّا وصفَ أهلَ الكتابِ في الآياتِ المتقدِّمةِ بالصِّفاتِ الذَّميمةِ ذكرَ هذهِ الآيةَ؛ لبيان أنَّ كُلَّهم ليسوا كذلكَ بلْ فيهم مَن يكونُ موصوفًا بالصِّفاتِ الحميدةِ والخصالِ المرضيةِ[6]، ومنهم مَن قال: المرادُ بأهلِ الكتابِ كُلُّ مَن أوتي الكتابَ مِن أهلِ الأديانِ وعلى هذا يكونُ أهلُ الإسلامِ مِن جملتِهم[7]، وقال القَفَّال: لا يَبعُدُ أن يُقال: أولَئكَ الحاضرونَ كانوا نفرًا مِن مُؤمني أهلِ الكتاب[8].

ثُمَّ اعلم أنَّه تعالى مدح الأمَّةَ المذكورة في هذه الآية بصفاتٍ ثُمَّانية:

الصِّفة الأُوَلى: إنَّها قائمةٌ وفيها أقوال:

أحدها: أنَّها قائمةٌ في الصَّلاةِ يتلونَ آياتِ الله آناءَ اللَّيلِ، فعبَّرَ عن تهجدِهم بتلاوةِ القرآنِ[9].

وثانيها: أنَّها ثابتةٌ على التَمسُّكَ بالدِّينِ الحقِّ مُلازمةٌ له غيرُ مضطربةٌ في التَمسُّكِ به[10].

وثالثها: أنَّها مستقيمةٌ عادلةٌ[11]، مِن قولك: أقمتُ العودَ فقامَ، بمعنى استقامَ، وهذا كالتَّقرير لقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾.

الصِّفة الثَّانية: قوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾، وفيه من المباحث:

الأوَّل: يتلونَ ويؤمنونَ في محلِ الرَّفعِ صفتانِ

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 1/ 458؛ و إعراب القرآن للنحاس، 1/ 176.
(2) في (ف) تصحيف (تذكر).
(3) ينظر: مجاز القرآن، 1/ 102؛ والهداية الى بلوغ النهاية، 2/ 1098.
(4) ينظر: جمهرة اللُّغَة، 3/ 1310؛ والتفسير البسيط، 5/ 508.
(5) وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج. ينظر: تفسير ابن المنذر، 1/ 339؛ وتفسير القران العظيم لابن أبي حاتم، 3/ 737.
(6) لم أقف عليه إلاَّ عند الرازي أوردها بصيغة قيل، مفاتيح الغيب، 8/ 331.
(7) ينظر: جامع البيان، 7/ 122.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 332.
(9) وهو قول السدي، جامع البيان، 7/ 123؛ والنكت والعيون، 1/ 417؛ وزاد المسير،1/ 316.
(10) وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع، جامع البيان، 7/ 123؛ والنكت والعيون، 1/ 417؛ وزاد المسير، 1/ 316.
(11) وهو قول مجاهد الحسن وابن جريج، جامع البيان، 7/ 123؛ والنكت والعيون؛ 1/ 417؛ وزاد المسير، 1/ 316.

لقوله: (**أُمَّةٌ**) أي أُمَّةٌ قائمةٌ يتلونَ ويؤمنون[1].

الثَّاني: (التِّلاوة) القراءةُ، وأصلُ الكلمةِ [ورقة312أ] الإتباعُ، فكأَنَّ التِّلاوةَ هي إتباعُ اللَّفظِ [اللَّفظَ][2].

الثَّالث: (ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)، قد يُرادُ بها آياتِ القرآنِ، وقد يُرَادُ بها أَصنافُ مخلوقاتِهِ الدَّالةُ على ذاتِهِ تعالى وصفاتِهِ والمرادُ في الآيةِ الأوَّل.

الرَّابع: (ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)، أوقاتُ اللَّيلِ وساعاتِهِ، واحدها (إنا)[3]، قال القَفَّالُ: كأنَّ التَّأني مأخوذًا منه؛ لأَنَّهُ انتظارُ السَّاعاتِ والأوقات[4].

الصِّفة الثَّالثة: قوله تعالى: (وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ)، وفيه وجوه:

منها: أَنَّهُ يحتملُ أن يكونَ حالًا مِن التَّلاوةِ[5] غيرَ أَنَّهُ ضعيفٌ؛ فإنَّهُ رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**إني نُهيتُ أن أقرأَ راكعًا وساجدًا**»[6].

ومنها: أَنَّهُ يَحتَمِلُ أن يكونَ كلامًا مستقلًا والمعنى: أَنَّهُم يقومونَ تارةً ويسجدونَ أُخرى قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا) [الفرقان: 64][7].

ومنها: يحتملُ أن يكونَ المرادُ بقوله: (يَسۡجُدُونَ)، أَنَّهُم يُصلونَ، وصفَهُم بالتَّهجدِ.

والصَّلاةِ، تُسمَى سجدةً وسجودًا وركعةً قال: (وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ) [البقرة: 43] أيْ: [صلُّوا][8].

الصِّفة الرَّابعة: قوله تعالى: (يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) [آل عمران: 114]، واعلمْ أَنَّ كمالَ الإنسانِ في أن يعرفَ الحقَّ لذاتِهِ والخيرَ لأجلِ العملِ بِهِ، وأفضلُ الأعمالِ الصَّلاةُ كما مرَّ قوله تعالى: (يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ) الآية، إشارةٌ إلى الأعمالِ الصَّالحةِ الصَّادرةِ عنهم وقوله: (يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)، إشارةٌ إلى أفضلِ المعارفِ الحاصلةِ[9] في قلوبِهم وهو معرفةُ المبدأِ والمعادِ.

الصِّفة الخامسة: قوله تعالى: (وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ) .

الصِّفة السَّادسة: (وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ)، وقد مرَّ[10] ذكرهما مِن قبل.

الصِّفة السَّابعة: قوله تعالى: (وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ)، أيْ يتبادرونَ إليها خوفَ الفوتِ [بالموتِ][11] فإن قيل: أليسَ أَنَّ العجلةَ مذمومةٌ، قال ﷺ : «**العجلةُ مِن الشَّيطانِ والتأنّي مِن الرَّحمنِ**»[12] فما الفرقُ بينَ السُّرعةِ والعجلةِ؟ فالجوابُ: إنَّ السَّرعةَ مخصوصةٌ بأن يُقدِّمَ ما ينبغي تقديمُهُ، والعجلةُ مخصوصةٌ بفرطِ الرَّغبةِ فيما يتعلَّقُ بالدِّينِ؛ لأَنَّ مَن رَغِبَ في الأَمرِ آثرَ الفورَ على التَّراخي، وأيضًا العجلةُ ليستْ مذمومةٌ على الإطلاقِ قال تعالى : (وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ) [طه: 84] [13].

---

(1) ينظر: الدر المصون، 3/ 356.

(2) سقط من (م). ينظر: العين، 8/ 134؛ ومقاييس اللُّغَة، 1/ 351.

(3) ينظر: مجاز القرآن،1/ 102؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، 1/ 459.

(4) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 333.

(5) ينظر: النكت ، 1/ 418؛ والتبيان في إعراب القرآن، 1/ 286.

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس، برقم: 1900؛ قال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(7) وهو ما ذهب إليه الطبري: جامع البيان، 7/ 129.

(8) سقط من(ف). معاني القرآن للفراء،1/ 231، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، 1/ 459.

(9) في (م) (الحاصل).

(10) في (م) تصحيف (قدَّم).

(11) سقط من (ف).

(12) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي: برقم (911)، بلفظ: ((العجلة من الشيطان والتأني من الله)). وقال عنه حديث حسن.

(13) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري،

الصِّفة الثَّامنة: قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، والمعنى أولئك الموصوفونَ بما وصفوا به مِن جملةِ الصَّالحينَ، الَّذينَ صَلُحتْ أَحوالُهم عندَ الله سبحانه، ثُمَّ المدحُ فإنَّهُ تعالى وصفَ أكابرَ الأنبياءِ بِهِ قال تعالى بعدَ ذكرِ إسماعيلَ وإدريسَ وذي الكفلِ [ورقة312ب] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: 75]، وقدْ ذكرَ حكايةً عن سليمانَ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19]. ثُمَّ إنَّهُ تعالى لَمَّا ذكرَ هذهِ الصِّفاتِ الثَّمانيةَ قال: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 115]، وفيه مِن المباحث:

الأوَّل: قرأَ عاصمٌ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ ، بالياءِ على المُغايَبَة[1]؛ إذ الكلامُ مُتصلٌ بما قبلَهُ مِن ذكرِ مُؤمني أهلِ الكتابِ، أنَّهُم يتلونَ ويسجدونَ ويؤمنونَ ويأمرونَ وينهونَ ويسارعونَ، والفائدةُ أنَّ جُهَّالَ اليهودِ طعنوا فيهم فاللهُ تعالى يعظمُهُم؛ ليزولَ عن قَلبِهم أثرَ ذلك الطَّعنِ[2]، وأمَّا الباقونَ فإنَّهم قرأوا بالتَّاءِ على المُخاطَبَة[3]، فهو ابتداءُ خِطابٍ جميعِ المؤمنينَ، ونظيرُ هذهِ الآيةِ جاءتْ مُخاطِبَةً لجميعِ الخلائقِ مِن غيرِ تخصيصٍ كقولِه: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 197]، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 272] ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20][4].

الثَّاني: ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، أي لن تُمنَعُوا ثوابَهُ وجزاءَهُ، وإنَّما سُمِّي منعُ الجزاءِ كفرًا؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الكفرَ في اللُّغةِ هو السَّترُ فسُمِّي به؛ لأنَّهُ بمنزلةِ الجحدِ والسَّترِ[5].

وثانيهما: أنَّهُ تعالى سَمَّى اتصالَ الثَّوابِ شكرًا قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19]، فلمَّا سمَّى اتصالَ الجزاءِ شكرًا، سَمَّى منعَهُ كُفرًا، فإن قيل لِمَ قال: ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، فعدَّاهُ إلى مفعولينِ معَ أنَّ قولنا: شكرٌ وكفرٌ لا يتعديانِ إلَّا إلى مفعولٍ واحدٍ فيقال: شَكَرَ النِّعمَةَ وكَفَرَهَا؟ قلنا: لأنَّ منعَ الكفرِ هنا هو المنعُ والحرمانُ فكأنَّهُ قال: فلن تُحرَمُوه ولن تُمنَعُوا جزاءه[6].

الثَّالث: احتجَّ القائلونَ بالموازنةِ مِن الذَّاهبينَ إلى الاحتياطِ بهذهِ الآيةِ فقالوا: صريحُ هذهِ الآيةِ يَدُلُّ على أنَّهُ لابدَّ مِن وصولِ أثرِ فعلِ العبدِ، فلو انحبطَ ولم يحبطْ مِن المُحبَطِ بمقدارِهِ لبطلَ مُقتضى هذهِ الآيةِ، ونظيرُ هذهِ الآيةِ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7 – 8][7].

ثُمَّ قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 115]، إنَّهُ تعالى لَمَّا أخبرَ عن عدمِ الحرمانِ، أقامَ ما يجري مجرى الدَّليلِ عليه، وإنَّما قال: ﴿عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ معَ أنَّهُ عالمٌ بجميعِ الأشياءِ؛ بشارةٌ للمتقينَ بجزيلِ الثَّوابِ، ودلالةٌ على أنَّهُ لا يفوزُ عندَهُ إلَّا أهلَ التَّقوى.

ص 276؛ والمفردات للراغب، ص 548 – 549.

(1) وقرأ بها حمزة والكسائي وهي اختيار أبي عبيد والصواب عند الطبري.

(2) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص215؛ والاتحاف، ص178؛ والنشر في القراءات العشر، 2/ 241.

(3) ينظر: السبعة، ص215؛ والاتحاف، ص178)؛ والنشر، 2/ 241.

(4) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، 1/ 270؛ والتفسير البسيط، 5/ 521.

(5) ينظر: مقاييس اللُّغَة، 5/ 191؛ ومشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، 1/ 345.

(6) ينظر: الكشاف للزمخشري، 1/ 403؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، 2/ 34.

(7) ينظر: مفاتيح الغيب، 8/ 335.

المصادر

أولاً: المصادر الأولية

- الأشرف الغساني، الملك اسماعيل بن العباس (ت 803 هـ).
- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود، دار البيان، بغداد، 1975 م.
- الأزبلي، عبد الرحمن سنبط بن قنيتو، (ت 717 هـ).
- خلاصة الذهب المسبوك، مطبعة المثنى، بغداد، 1965 م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت 370 هـ).
- تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 2001 م.
- الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، (ت 403 هـ).
- إعجاز القرآن ، تحقيق: صلاح محمد عويضة ، ط 2، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2008 مـ .
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516 هـ).
- معالم التنزيل ، تحقيق: مجموعة باحثين، ط 4، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، 1997 م .
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، (ت 685 هـ).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت. بلا ت.
- ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي، (ت 874 هـ).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2010 م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614 هـ)،
- رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1980 م.
- ابن الجزري، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد، (ت 833 هـ).
- النشر في القراءات العشر: تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت 597 هـ).
- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، 1404 هـ.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ).
- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1993 م.
- معجم البلدان، ط 2، دار صادر بيروت، 1995 م.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب. المكتبة العصرية – صيدا، لبنان.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ).
- وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، ط 4، دار صادر، بيروت، 1994 م.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، (ت 444 هـ).
- التيسير فى القراءات السبع ، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1984 م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (ت 1089 هـ).

● شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار بن كثير، دمشق، 1406هـ.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاولي، (ت654هـ).
● مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، طبعة حيدر اباد، الدكن، بلا ت.
- السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ).
● تاريخ الخلفاء : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط1، مكتبة الرباط، بغداد، 2007م.
● طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، (ت 771هـ).
● طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناجي، وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، 1413هـ.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت373هـ).
● بحر العلوم، تحقيق محمود مطرقجي، دار الفكر، بيروت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت 764هـ).
● الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت ، 2000م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ).
● جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 2000 م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت538هـ).
● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكتبي، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، (ت 764هـ).
● فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت207هـ).
● معاني القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ- 2002م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ).
● معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط2، دار الجيل - بيروت ، 1999م.
- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت623هـ).
● الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- ابن قاضي شهبة، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت851هـ).
● طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407 هـ.
- القرشي، محيي الدين أبي محمد عبدالقادر بن محمد (ت775هـ).
● الجواهر المضية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ، ط2، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ، 1993م
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ) .
● تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، ط2، دار طيبة، 1999م.

● البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت774هـ) ، مكتبة المعارف ، بيروت، 1988م.
– ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي، (ت324هـ).
● السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2000م.
– مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي.
● تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 2003م.
– المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، (ت845هـ).
● السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت.
– المقدسي، محمد بن عبد الله البشاري، (ت387هـ).
● أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
– ابن العبري، جوريجيوس بن هارون الملطي، (ت 685هـ).
● تاريخ مختصر الدول، دار الرائد العربي، بيروت، 1983م.
– العسقيلاني، علي بن أحمد بن حجر (ت852هـ).
● تقريب التهذيب، تحقيق: بشار عواد معروف ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
● الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، حيدر آباد، الهند، 1972م.
● تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر ، بيروت ، 1984م.
– ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي، (ت1089هـ).
● شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، 1980م.
– الذهبي، شمس الدين أحمد بن محمد (ت748هـ).
● تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.
● سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
● العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م.
– الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (ت606هـ).
● التفسير الكبير، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 2000م.
– ابن النجار البغدادي، محب الدين محمد بن محمود، (ت643هـ).
● ذيل تاريخ بغداد، طبعة بيروت، بلا ت.
– ابن النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد، (ت338هـ) .
● معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني ، ط1، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، 1409هـ .
● إعراب القرآن، تحقيق: خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008م..
– النسوي، محمد بن احمد، (ت647هـ).
● سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.
– اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، (ت768هـ).
● مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 1993م.

ثانياً: المراجع الثانوية

– أمين، حسين.
● تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2006م.
– البغدادي، إسماعيل باشا.

● هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
– بروكلمان، كارل.
● تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
– الحديثي، قحطان عبد الستار.
● التواريخ المحلية لإقليم خراسان، مطبعة جامعة البصرة، 1983م.
– الزركلي، خير الدين محمود.
● الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
– الصياد، فؤاد عبد المعطي.
● المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، بلا ت.
– عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون.
● دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط2، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، 1986م.
– القزاز، محمد صالح.
● لحياة السياسية في العراق في العصر السلجوقي، مطبعة القضاء، النجف، 1970م.
– اللكنوي الحسيني، الشريف عبد الحي بن فخر الدين.
● نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ط1، دار ابن حزم ، بيروت، 1999م.
– كحالة، عمر رضا.
● معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بغداد، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
– معروف، ناجي.
● تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة العاني، بغداد، 1959م.